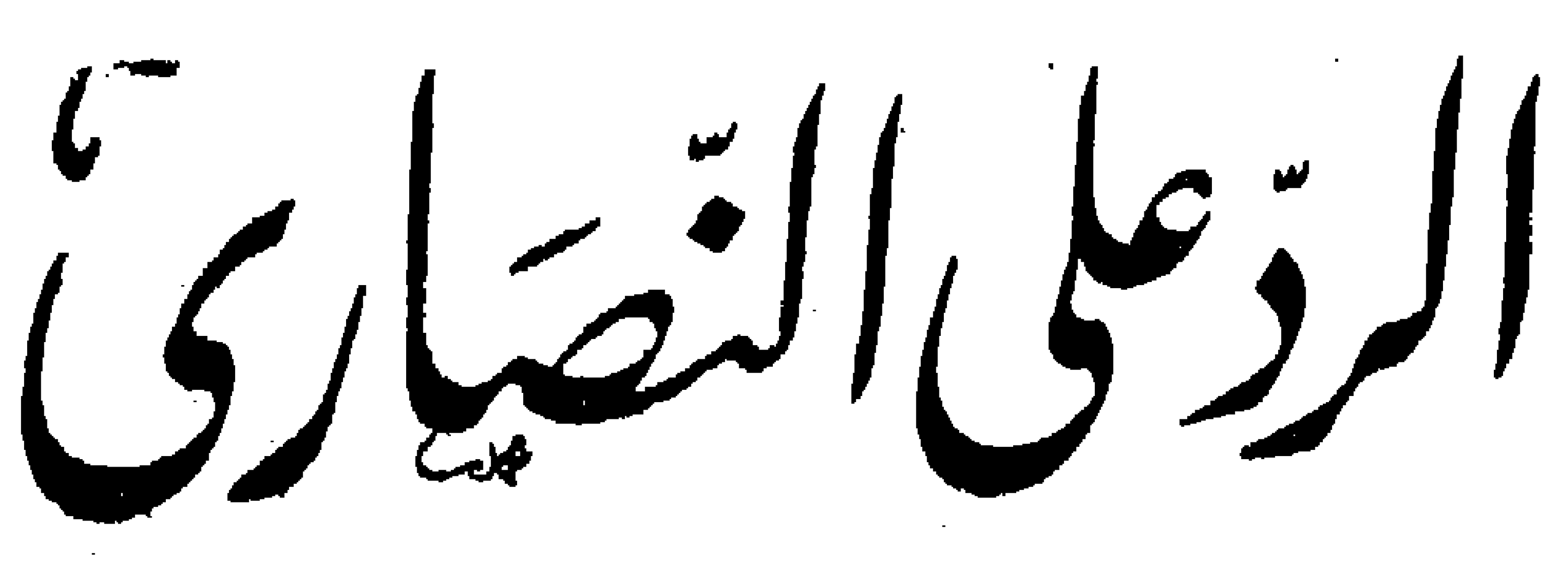


لأبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري

المتوفى في القرن السابع الهجري

حققه وقدم له

الدكتور محمد محمد حسانين

الأستاذ المساعد بجامعتي بني غازي وقطر

يطلب من

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الرد على النصارى

لأبى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى

المتوفى فى القرن السابع الهجرى

حققه وقدم له

الدكتور محمد محمد حسانين

الأستاذ المساعد بجامعتى بنى غازى وقطر

الناشر
مكتبة المدارس
الدوحة - قطر ص.ب ١٦٨٠
تليفون ٤٢٧٠٨٥

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهره - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلي
الأزهر/ ٣ حوض الموصلي بجوار جامع الدعاء
ت : ٩٢٥٣٠٤ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحمد الله تعالى على الفراغ من تحقيق المخطوط المعنون : الرد على النصارى ، لمؤلفه : « أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى » .

والى جانب الجهد الذى بذلناه فى تحقيقه ، فقد قمنا ، اتماما للفائدة ، بالتقديم له بدراسة عن المخطوط ، ومؤلفه ، وعن الجدل الاسلامى المسيحى ، ومناهجه ، وقيمته ومنزلة المؤلف منه .

وقد قمنا كذلك باثبات بعض المراجع التى رجعنا اليها باللغة العربية ، أو باللغة الفرنسية اذا كانت لم تترجم الى العربية أو كان رجوعنا الى الأصل الفرنسى منها ، كذلك فقد قمنا باثبات جميع النصوص الذى ذكرها المؤلف من كتب العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم ، ونبهنا الى عدم وجود النص فى الكتب المشار اليها عند عدم العثور عليه ، كذلك فقد أشرنا الى أماكن وجود الأحاديث الواردة فى سياق النص فى كل من صحيح البخارى وصحيح مسلم وغيرهما من كتب الصحاح دون أن نحقق درجة صحة كل حديث لأن ذلك يقتضى تخصصا دقيقا لا ندعيه . ونعتقد بذلك أننا قد أبرزناه فى صورة تسهل على القارىء الاستفادة منه .

نرجو الله أن ينفع به ، وهو ولى التوفيق .

د . محمد محمد حسانين

* * *

المخطـــوط

كان من الطبيعى ان يدفعنا الاهتمام بنشر هذا المخطوط الى البحث بغية الوصـــول الى معلومات محددة عن مؤلفه وعن المكان أو الأماكن التى يمكن ان تضم نسخا منه ٠

ولمـا كان الباحثون المعنيون بموضـــوع الجـدل الاســـلامى ـ المسيحى قد أجمعوا على أن المؤلف قد عاش فى القرن الســابع الهجرى (القرن الثالث عشر الميلادى) ، فقـد رجعنا الى الكتاب القيم « كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون » لمؤلفه : حاجى خليفة ، اذ هو أقرب المؤرخين لحركة التأليف عهدا بالحقبة التاريخية التى عاش المؤلف أثناءها عسى أن نجد فيــه اشـارة عن المؤلف أو صاحبه ٠

ولقد حالفنـا التوفيق عنـد الرجوع الى هذه الموســوعة القيمة ، فقد ذكر صاحبها ، حاجى خليفة(١) ، اسم المؤلف كاملا ، وهو : أبو البقاء صـالح بن الحسـين الجعفرى ، كما ذكر الكتـاب تحت عنوان : تخجيل من حرف الانجيل ، لكنه لم يزد على ذلك شـيئا ، فهو لم يذكر شـيئا عن حيـاة المؤلف ولا عن خصائص كتابه ٠ ورغم ضـآلة المعلومات التى أمدنا بها حاجى خليفة عن حياة المؤلف وظروف تاليفــه لكتابه فانه أعطانا اسم المؤلف كاملا واكد صحة نسـبة الكتاب اليــه ، وقوى لدينا الأمل فى وجود نسـخ منه فى المكتبات التى تحتفظ بمجموعات كبيرة من المخطوطات ٠

ثم كانت خطوتنا الثانية هى البحث عن مظان وجوده فى المكتبات ، وذلك بالرجوع الى موســوعة أخرى لا تقل قيمة عن موســوعة حاجى خليفة هى : تاريخ الآداب العربية للعالم الألمـانى بروكلمان ، فوجدناه يذكر وجود نسخ منه فى المكتبات الآتية :

---

(١) المجلد الثانى ، ص ٢٤٩

١ ـ المتحف البريطانى ، قسم المخطوطات العربية ، تحت رقم :
أ ٠ د ٠ د ٠ ١٦٦٦١
٢ ـ مكتبة اياصوفيا تحت رقم ٢٢٤٦ م
٣ ـ مكتبة رئيس الكتاب باستامبول ، تحت رقم ٦
٤ ـ مكتبة داماد ابراهيم باستامبول تحت رقم ٤ (٢) ٠

وقد اكد بروكلمان وجود هذه النسخ بعنوان « تخجيل من حرف الانجيل » منسوبة الى العلامة ابى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى ٠

لكننا لم نكتف باشارة بروكلمان ، واتجهنا الى موسوعة اخرى ، لعالم المانى آخر ، هو العلامة (Graf) ، فى موسوعة : تاريخ الآداب المسيحية العربية ، فوجدناه يؤكد ما ذكره بروكلمان(٣) ٠

وكانت خطوتنا الأخيرة فى هذا الصدد هى الاتجاه الى قسم المخطوطات العربية بالمكتبة الاهلية ، بباريس ، حيث اطلعنا على فهارس المخطوطات العربية فى المكتبات التى اشار اليها كل من بروكلمان ، وجراف ٠ وعن طريق المكتبة الاهلية بباريس طلبنا نسخا « ميكروفيلم » لهذه المخطوطات الأربعة ، على أمل ان نحصل على نسخ متعددة لمخطوط واحد ، تساعدنا المقابلة بينها على معرفة النسخة « الام » وعلى ابراز المخطوط فى حالة هى اقرب ما تكون الى الضبط والصحة ٠

غير ان دهشتنا كانت عظيمة عندما وصلتنا النسخ المصورة « ميكروفيلم » من المخطوطات الاربعة المذكورة ، فقد وجدنا ان اثنين من هذه المخطوطات ليسا سوى جزءين لمخطوط واحد احدهما هو المخطوط الموجود فى مكتبة رئيس الكتاب باستامبول ، ويحتوى على ١٨٤ ورقة والآخر ، وهو الجزء الثانى ، هو الموجود فى مكتبة داماد ابراهيم باستامبول ايضا ، ويحتوى على ١٨٨ ورقة ٠ اما المخطوطان الموجودان فى كل من مكتبة المتحف البريطانى ومكتبة اياصوفيا فليسا

---

(٢) راجع : Brockellman : Geschicht der arabishen. litterature I, 430. S, I, 766.

(٣) راجع : Graf : Geschicht der Christichen arabishen Intterature II, 389.

سوى ملخصين للمخطوط المذكور ، أولهما يحمل عنوان « الرد على النصارى » والثانى يحمل عنوانين ، أحدهما هو : « الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود » وثانيهما هو : « كتاب العشر المسائل » .

لم نحصل اذن ، وبعد كل هذا المجهود ، الا على نسخة واحدة للمخطوط ، مكونة من جزءين ، وعلى ملخصين له ، هى كل ما احتوته المكتبات المعروفة من نسخ لهذا المخطوط .

* * *

● وصف كل من هذه المخطوطات :

١ ـ يتكون المخطوط الأصلى ، كما قلنا ، من جزءين ، يحتوى أولهما على ١٨٤ ورقة ، ويحتوى الثانى على ١٨٨ ورقة ، وكلاهما مكتوب بالخط الواسطى ، وتشتمل كل صفحة منهما على ١٧ سطرا فى المتوسط ، ويتكون كل سطر من ٧ كلمات تقريبا . والخط الذى نسخ به كلا الجزئين ليس جميلا ، لكنه يقرأ بسهولة ، عدا بعض الكلمات أو العبارات الناقصة . وبهامشه تصحيحات لبعض الكلمات أو الفقرات ، مكتوبة بخط مغاير لكنه واضح ، وهذه النسخة قد كتبت عام ٦٣٢ هـ ، كما هو ثابت فى الصفحة الأخيرة من الجزء الثانى منها ، لكنها لم تكتب بخط المؤلف ، وان كانت قد قرئت عليه ، اذ نجد فى نهايتها هذه العبارة : « قراها المؤلف غفر الله له » فهى تعتبر اذن النسخة « الأم » خصوصا اذا علمنا انها النسخة التى يقول المؤلف فى أحد ملخصاته لها : « انها النسخة التى أخذ عنها علماء الفسطاط نسخهم »(٤) .

٢ ـ مخطوط مكتبة المتحف البريطانى :

هذا المخطوط يحمل ، كما قلنا ، عنوانين أحدهما « كتاب الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود » وثانيهما « كتاب العشر المسائل » .

---

(٤) الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود ، مخطوط للمؤلف ، ورقة ٣٠ (وجه) .

وهو تلخيص للمخطوط الاصلى الذى فرغنا من وصفه • وهو موجود فى مجلد فخم يضم كتابا آخر ، هو « كتاب الأشربة » لابن قتيبة • والمخطوط الذى يعنينا مكتوب بخط واسطى جميل جدا ، وتحتوى الصحيفة على ١٢ سطرا ، بكل سطر ٥ أو ٦ كلمات • وصفحاته عددها ٢١٤ ، وهى محلاة باطار زخرفى متعدد الالوان • اما حالته فهى جيدة جدا وقل ان تجد به خطأ •

٣ ــ مخطوط مكتبة مسجد اياصوفيا :

يحمل هذا المخطوط العنوان الآتى : « كتاب الرد على النصارى » فى اطار زخرفى جميل ، وهو كسابقه ، تلخيص للكتاب الاصلى « تخجيل من حرف الانجيل » • وهو مكتوب بالخط الواسطى الجميل ، ويتألف من ١١٤ ورقة ، وعدد اسطر كل صفحة يتراوح ما بين ١١ ، ١٢ سطرا ، ويشتمل السطر على ٦ أو ٧ كلمات • والخطاؤه نادرة ، ومصححة بالهامش بخط يغلب انه خط الناسخ •

ويعالج هذا المخطوط سبع مسائل ، مذكورة فى الصفحة المقابلة للعنوان ، ومرتبة على النحو التالى :

١ ــ المسألة الأولى فى الرد على من زعم ان المسيح ابن الله •
٢ ــ المسألة الثانية فى ابطال الاتحاد •
٣ ــ المسألة الثالثة فى ابطال دعوى القتل •
٤ ــ المسألة الرابعة فى ابطال دعوى الثالوث •
٥ ــ المسألة الخامسة فى تناقض الانجيل •
٦ ــ المسألة السادسة فى اثبات نبوة المسيح عليه السلام •
٧ ــ المسألة السابعة فى اثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ •

وقد عمد الناسخ الى كتابة عنوان كل مسألة فى اطار منفصل بعد فراغه من نسخ موضوع المسألة السابقة ، فجاء هذا المخطوط غاية فى التنسيق مما يساعد القارىء والباحث على الاتجاه رأسا الى المسألة

التى يريد الاطلاع على رأى المؤلف فيها دون عناء ، مما لا يتيسر للباحث عند قراءته لكثير من المخطوطات الأخرى ٠

والمخطوط الذى سنقوم ، بعون الله ، بدراسته والتعليق عليه هو هذا المخطوط الاخير ، المعنون : « كتاب الرد على النصارى » والموجود بمكتبة اياصوفيا تحت رقم ٢٢٤٦ م ٠

وقد يتساءل القارىء ، وله الحق فى هذا التساؤل : لماذا لم نقم ، كما هو المعتاد ، بتحقيق الكتاب الاصلى « تخجيل من حرف الانجيل » وعمدنا الى تحقيق ملخص له ؟ ونقول اجابة على هذا التساؤل :

اولا ــ ان الكتاب الأصلى قد حرره المؤلف عندما كان شابا ، كما ذكر هو ذلك صراحة فى معرض تبريره لاخراج ملخص له بعد ذلك(٥) ٠ ومعنى ذلك ان المؤلف ، بعد مرور فترة من تاليفه لم يعد مقتنعا به على الوضع الذى كان عليه فبادر باعادة تحريره ، محتفظا فى النسخة الجديدة بما رآه اساسيا ومفيدا فى موضوعه ، طارحا كل ما رآه غير مفيد ، من حشو يبدو مشتتا للفكر ، ولا يساعد على وضوح الموضوع ٠ وقد اعترف المؤلف نفسه بوجود حشو فى كتابه الأصلى وذلك بطريقة غير مباشرة ، عندما ذكر انه انما حرره فى زمن الشباب ، اى فى زمن اختلاط الفكر وتشويشه وعدم وضوحه ٠

ثانيا ــ اننا نقرا فى نهاية الجزء الثانى من المخطوط الأصلى عبارة « مسودة » مكتوبة بخط مغاير لخط الناسخ ٠ ونحن لا ندرى ما اذا كانت هذه العبارة قد كتبها المؤلف نفسه بعد تحريره للملخص الذى بين ايدينا ليرفع الثقة عنه ، اى عن المؤلف الأصلى ام انها قد كتبت بخط احد المطالعين للمخطوط ممن يعرفون وجود ملخص له ، فاعتبر المؤلف الأصلى « مسودة » جمع فيها المؤلف افكاره مشتتة غير محررة ، ثم اعاد تحريرها بوضوح وتلخيص وتركيز بعد ذلك ٠

---

(٥) راجع : « الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود ، مخطوط بمكتبة المتحف البريطانى رقم ١٦٦١٦ » ورقة ٣ (وجه) ٠

ومهما يكن من امر ، فقد جـرى العرف العلمى بين المحققين للمخطوطات على اعتبار وجود عبارة « مسودة » فى احدها كافيا للتحفظ وعدم الاقدام على تحقيقه الا عندما يضيع الأمل فى العثور على نسخة اخرى لا تحمل هذه العبارة • ونحن غير مضطرين لذلك ، اذ لدينا ، لحسن الحظ ، مخطوطان آخران كتبهما المؤلف تلخيصا لهذا المؤلف الاصلى مما يضعه ، فوق كونه « مسودة » فى المرتبة الثالثة من حيث الأحقية بالتحقيق •

ثالثا ـ ان المخطوط الذى بين ايدينا هو آخر مختصر وضعه المؤلف لكتابه الأصلى ، فهو من هذه الناحية يعتبر بمثابة الطبعة الأخيرة ، او الكلمة الأخيرة له فى الموضوع ، وكونه بهذه الصفة يجعله وحده محل اعتبار الباحثين ، اذ هو ـ وحده ـ الذى يعبر ، تاريخيا عن وجهة نظر المؤلف فى الموضوع •

واذا كان جهدنا قد انصرف الى تحقيق هذا المخطوط ، فاننا لن نغفل القيمة والفائدة الكامنتين فى المخطوطين الآخرين ، بل اننا سنرجع اليهما اذا حدث أن توقفنا امام بعض النصوص او العبارات التى قد تكون غامضة ، أو لمعرفة الأسباب التى حدت به الى تحرير كتابه ، والظروف التى احاطت بتأليفه • ونعتقد ان فائدتهما من هذه الناحية ستكون كبيرة ، لأن المؤلف لم يترك ـ على ما يظهر ـ من الأثر ينم عن شخصيته سوى ما ذكره عن نفسه أو كانت له دلالة من عبارات متفرقة فى طيات هذه المخطوطات الثلاثة •



المؤلف

(ا) شـــخصيته :

نجد اسم المؤلف مكتوبا بكامله تحت عنوان هذا المخطوط الذى بين أيدينا ، فهو : أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى .

لكننـا نجـده مسـبوقا بألقاب كثيرة تحت عنوان المخطوط الأصلى ، اذ نقرأ هناك : « الشـيخ الفقيه ، والامام الفاضل ، تقى الدين ، صالح ابن الحسين الجعفرى » .

ورغم ما توحى به هـذه الألقاب من أن صاحب الكتاب شـخصية معروفة ومرموقة فاننا لا نجد له ذكرا فى كتب التراجم اللاحقة لـه ، ككتاب : الآثار الباقية فى أخبار مصر والقاهرة ، للسيوطى ، أو فى كتب الجدل الاسـلامى ــ المسـيحى المتأخرة ، والتى عنى أصحابها بالرد على النصارى بنفس الأسلوب الذى اتبعه صالح بن الحسين ككتاب : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية ، وكتاب : الأجوبة الفاخرة ، للقرافى . كذلك فان شخصيته ظلت غامضـة بالنسـبة لمؤرخى الجـدل الاسـلامى ــ المسـيحى من الغـربيين ، فقد نشر العالم الألمانـى « ف . ترييبس » (F. Teiebs) مقالا(١) تعرض فيه لمحتوى مخطوطه المعنون : كتاب العشر المسـائل ولم يذكر شـيئا عن حياة مؤلفه ولا عن نشـاطه العلمى . كذلك فقد نشر « فان دن هام » (Van den Ham) كتابا لأبى الفضل المالكى السعودى يرد فيه على النصارى ، لخص فيه كتاب التخجيل لصالح بن الحسين وذكر اسمه دون أن يذكر شيئا عن حياته(٢) .

أما جراف (Graf) فقد ذكر أن صالح بن الحسين الف هذا الكتاب ردا على النصارى الأقباط بمصر لتاليفهم كتابا ينتقدون فيه المسلمين بعنوان : الصائح فى جواب النصائح(٣) .

---

(١) نشر هذا المقال الصغير فى بون عام ١٨٩٧ بعنوان : عشر مسائل موجهة ضد المسيحيين .

(٢) نشر هذا الكتاب فى بون عام ١٨٧٧

(٣) Graf, op. cit., II, p. 389.

وأما بروكلمان (Brockelleman) فقد اكتفى بقوله عند الحديث عن صالح بن الحسين أنه نبغ عام ٦١٨ هـ ٠

واذا كنا لم نعثر فى كتابات المؤلفين المعنيين بالموضوع على شىء ذى بال فيما يتصل بحياة هذا المؤلف العملية ، فاننا نستطيع من خلال كتاباته هو أن نعرف شيئا عنها ٠

كان صالح بن الحسين يعيش فى الفسطاط بمصر ، ويحتلف الى مجالسها العلمية كواحد من علمائها ، حيث كان الحديث يتناول شتى قضايا العلم المعروفة فى زمنه (القرن السابع الهجرى) ، من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وأديان ، بما فى ذلك النصرانية وعقائدها وكتبها وتعاليمها ٠ ويبدو أن المؤلف كان مشهورا بين العلماء المختلفين الى هذه المجالس بمعرفة عقائد المسيحية هذه ، الأمر الذى حدا بهم الى أن يطلبوا منه كتابة مؤلف يبين فيه خطأ اعتقادات النصارى ، ويدعوهم ـ عن طريق تدبر كتبهم ذاتها ـ الى الاعتقاد الحق فى عيسى ورسالته ٠

يقول المؤلف فى بداية كتابه « تخجيل من حرف الانجيل » : « حضرت محفلا تحفل بالعوارف خلافه ٠٠٠ فأذاعوا مزيد الفوائد ٠٠ وافاضوا فى العلوم الدينية واضافوا الى ذلك ذكر الأمة النصرانية ٠ فتعجب من حضر ، كيف زلت بهم القدم ، حتى اعتقدوا اتحاد العدم بالقدم ٠٠٠ واذا كان النصارى قد أتوا من قبل الالفاظ ، وعدم الحفاظ ، فتعين على من له دربة بهذا الشأن حل اشكالهم ، وفك الشبهات التى اعانت على ضلالهم ٠ فزعم جماعة أنى عارف بكتبهم ، خبير بمخاريقهم وكذبهم ٠٠٠٠٠٠٠ وقالوا : لو ابرزت لمعا تكون على الحق علما ؟ ٠٠ فأجبتهم لوجوب حقهم ، ورجوت الحيا عند وميض برقهم »(٤) ٠

هذا ما ذكره المؤلف عن نفسه ، ولا نعرف عنه شيئا غيره على

---

(٤) ورقة ٣ (وجه) وما بعدها ٠

وجه الدقة . لا نعرف تاريخ ولادته أو وفاته ، غير أنه يمكننا أن نرجح أنه قد ولد في أواخر القرن السادس الهجرى ونعتمد في هذا الترجيح على عبارة وردت في احد كتابيه اللذين اختصر فيهما مؤلفه الكبير الذى تحدثنا عنه . فقد ذكر فى كتاب « الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود » امر رسالة بعث بها امبراطور الروم عام ٦١٨ هـ الى الملك الكامل ، وان الملك قد كلفه بالرد عليها ، وانه فى هذا الوقت كان فى مرحلة النضج من عمره ، بعد ان تجاوز مرحلة الشباب(٥) . ونستنتج من هذه العبارة أن عمره فى ذلك الوقت (عام ٦١٨ هـ) كان قرابة الأربعين اذ ان هذا السن هو بداية سن النضج . واذا كان عمره عام ٦١٨ هـ يقارب الأربعين فانه يكون قد ولد فى نهاية القرن السادس الهجرى . كذلك فاننا نستطيع أن نجزم بأنه قد توفى بعد عام ٦٣٢ هـ ، ذلك ان ناسخ مؤلفه الأصلى « تخجيل من حرف الانجيل » قد سجل عليها هذا التاريخ ، وذكر انه قرأها على المؤلف ، الأمر الذى يعنى انه ظل على قيد الحياة بعد هذا التاريخ مدة نجهل مقدارها ، ويشاركنا فى هذا الجهل كل من عنوا بالحديث أو النقل عنه .

واذا كان عدم معرفة تاريخ ولادة العلماء مقبولا ، نظرا لعدم العناية ـ الا فيما ندر ـ بتسجيل تاريخ الولادة فى الماضى ، فان عدم معرفة تاريخ وفاتهم يبدو غريبا ، فالآثار العلمية التى يخلفونها ، والتلاميذ الذين يلتفون حولهم وينقلون عنهم ويتعلمون على أيديهم ، وما يتبع ذلك من شهرة فى الوسط الاجتماعى الذى يعيشون فيه ، كل ذلك يجعل من يوم وفاتهم يوما مشهودا ، يسجله المؤرخون ويعيه من يجىء بعدهم . وهذه الظاهرة قد صاحبت معظم علمائنا القدامى ، فمع انه يندر معرفة تاريخ ميلاد اى منهم ، فانه يندر أيضا جهل تاريخ وفاته . بيد أن هذه الظاهرة قد تخلفت فيما يتعلق بالمؤلف الذى نحن بصدده ، اذ رغم شهرة مؤلفاته ، وترجمة اجزاء منها الى لغات غير العربية ، واهتمام كثير من الباحثين فى آثار الماضى بالنقل عنه ، كما راينا ، فانه ظل مجهولا حتى من هؤلاء الباحثين انفسهم ، مما يجعلنا نتساءل عن السر فى ذلك .

---

(٥) ورقة ٢ (ظهر) .

قد يكون موضع السر فى ذلك هو نزوح المؤلف عن مصر فى آخر حياته الى قطر اسلامى آخر وافته به المنية قبل أن يذيع صيته فيه ٠ وقد يكون السر فى ذلك عدم مواتاة الحظ له ، فالشهرة ، فى جانب كبير منها ، ترجع الى الحظ اكثر منها الى اى عامل آخر ٠ وكم استخرج الباحثون من زوايا المكتبات اعمالا قيمة لمؤلفين لم يكن يعرف عنهم احد شيئا ٠

غير اننا نرجح ان يكون السبب فى عدم شهرته هو عدم نبوغه فى اى علم من العلوم الاسلامية الخالصة ، كالفقه والحديث والتفسير ٠٠٠ الخ ، فهذه العلوم هى التى كانت تحظى بانتباه المجتمع ، وتشد انظار المؤرخين الى النابغين فيها ٠ أما النبوغ فى معرفة كتب اهل الكتاب وطرق الرد عليهم فلم تكن ـ وحدها ـ كافية ليكتسب صاحبها الشهرة ٠ فالناس ، اقصد معظمهم ، لا يعنيهم امر اهل الكتاب فى قليل او كثير ٠ لقد كتب الجاحظ رسالة قيمة فى الرد على النصارى ؛ لكنها لم تكسبه شهرة أو ذيوع صيت ، بل ظلت مهملة حتى حققها فنكل (Fankel)فى مصر ، وانما استمد الجاحظ شهرته من مؤلفاته الأخرى التى كانت تشد انتباه المجتمع كالبيان والتبين ، والحيوان ، وغيرهما ٠ كذلك فقد كتب امام الحرمين الجوينى كتابه شفاء العليل فى نقد النصرانية ، وظل هذا الكتاب مطمورا حتى حققه الارد (Allard) اخيرا ٠ وألف الغزالى كتابه « الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل » ، ولكنه ظل هو الآخر مطمورا لم يكسبه شهرة ، لفترة طويلة ٠ فهؤلاء الأعلام من مفكرى العالم الاسلامى لم يكونوا ليعيهم التاريخ لو انهم قصروا مجهوداتهم الفكرية على نقد المسيحية وبيان تداعى الأسس التى قامت عليها ٠ فلما لم يكن لمؤلفنا ، صالح بن الحسين ، اثر فكرى مكتوب فى أحد ميادين العلوم الاسلامية الخالصة ، بقى مغمورا لا يعى التاريخ عن حياته الخاصة شيئا ٠

* * *

(ب) سبب تاليف الكتاب :

رغم ان هذا المخطوط هو اختصار لمؤلف آخر أكبر منه فان صالح بن الحسين لم يعمد الى هذا الاختصار رغبة منه فى الدقة والوضوح والضبط ، كما أسلفنا ، فقط ، بل لقد جدت ظروف اضيفت الى الدواعى السابقة ، فاقتضت جميعها معاودة الهجوم على النصارى ودحض دعاواهم الدينية • وقد أشار المؤلف الى هذه الظروف الجديدة فى بداية المخطوط بقوله : « وقفت على مسائل ذكر أن الفرنج بعثوا يمتحنون بها أهل الاسلام فنظرت فيها ، فاذا هى خالية عن الفوائد الدينية ، عاطلة عن المنافع الدنيوية ، اقرب الأشياء شبها بخرافات النسوان وترهات الولدان ، كسؤالهم عن الماء : هل له طعم أو لون أم لا ؟ وعن السحاب والمطر والثلج ما هو ؟ وعن الأحلام والمنامات : اى شىء تكون ؟ وعن الجنين : هل هو مخلوق من ماء الرجل أم من ماء المراة ؟ أم من ماءيهما ؟ وما السبب فى أن بعض الحيوانات كثيرة الأولاد دون بعض ؟ مما هو صفر من الفائدة ، خلى من الحكمة »(٦) • لقد انتهز المؤلف هذه الفرصة فاختصر مؤلفه الكبير الى المؤلف الذى بين أيدينا ، ليكون اكثر وضوحا ودقة من جهة ، وليكون ردا على هذه الأسئلة التى بعث بها النصارى من جهة اخرى ، ومن هنا يأتى سبب تسميته : « الرد على النصارى » •

غير ان الذى يقرأ المخطوط لا يجد فيه ردا على هذه الأسئلة ، بل نقدا لعقائد النصرانية ، فكيف استساغ المؤلف ان يسمى هذا ردا ؟

يبدو ان المؤلف قد شعر بهذا الخلف ، فأجاب عنه باجابات ثلاث : الأولى هى ان هذه الأسئلة التى بعثوا بها « صفر من الفائدة » وأنه قد تولى الاجابة عنها بطريقة مباشرة « جماعة من ضعفاء طلبة العلم وصغار الفقهاء »(٧) • والثانية هى أن هؤلاء القوم « غلف الألسن •••

---

(٦) الرد على النصارى ، ورقة ١ (وجه وظهر) •

(٧) الرد على النصارى ، ورقة ٣ (وجه وظهر) •

عمى القلوب »(٨) ، فهم لذلك لا يدركون دقيق الأحكام ، مما يجعل الاشتغال بالرد عليهم مضيعة للوقت والجهد ٠ والدليل على عمى قلوبهم اعتقادهم الهية عيسى عليه السلام وما يترتب على ذلك من سائر الاعتقادات الأخرى من المحالات الظاهرة ، فلو كانت لهم عقول تعى لما ذهبوا الى هذا الاعتقاد ٠ فكأن المؤلف يتخذ من عرض اعتقاداتهم الباطلة وتفنيدها دليلا على سخف تفكيرهم ، ومن ثم عدم استحقاقهم للرد عليهم عندما بعثوا بأسئلتهم المشار اليها ٠ وقد صرح المؤلف بذلك فقال : « وما أبعد من الحكمة من زعم ان خالقه تعالى أنزل كلمته القديمة الأزلية من مجدها الرفيع الى حضيض الأرض ، فولجت فى بطن امرأة من بنى آدم ٠٠ ثم برزت طفلا ، فالقته على الأرض ، ولفته فى الخرق ٠٠٠ هذا اعتقاد النصارى فى الههم ومعبودهم ، وحكاية ذلك كافية فى الرد عليهم »(٩) ٠ والاجابة الثالثة تتمثل فى انه اراد أن يعارض اسئلتهم التافهة ، التى ترك الاجابة عنها لصغار الفقهاء وضعفاء طلبة العلم بأسئلة استخرجها من الأناجيل ، وطالبهم بالرد عليها ٠ وهو يقول فى هذا الصدد : « ونحن الآن نلقى عليهم مسائل من انجيلهم ونطالبهم بالجواب »(١٠) ٠

ان هذه الطريقة فى الحوار ، أعنى توجيه الأسئلة الى الخصم ، بدلا من الاجابة على اسئلته اولا ، غير مقبولة فى آداب البحث والمناظرة ، ويسمونها « الغصب » اذ ان متلقى السؤال يغتصب موقف خصمه ، فيقابل السؤال بسؤال ، بدلا من ان يتصدى للاجابة عليه ، فهى تعنى تهرب الخصم من الاجابة ٠ غير ان المجادلين ، وعلى الأخص من يتصدى منهم لنصرة الأديان ، لا يلقون بالا لمثل هذه القواعد ، لأن هدفهم الأول والأخير هو التغلب على الخصم بأى ثمن ، حتى وان كان هذا الثمن هو أن يضربوا بقواعد المناظرة عرض الحائط ٠

***

---

(٨) الرد على النصارى ، ورقة ٣ (ظهر) ٠

(٩) الرد على النصارى ، ورقة ٤ (وجه وظهر) ٠

(١٠) الرد على النصارى ، ورقة ٤ (وجه وظهر) ٠

(جـ) مصـــادر المؤلف :

يعتمد المؤلف فى رده على النصارى على المعقول والمنقول ، اى أنه يخضع عقيدة النصارى لنقد نظرى ، اساسه استحالة القول بالتثليث عقلا ، وآخر نصى ، اساسه دلالة النص الظاهرة على انســانية عيسى عليه السلام وعلى كونه رســولا ، وعلى عدم الهيته • غير أنه لا يصــدر فى نقــده هــذا عن مجهوده الخاص وحده ، بل يعمد مع ما بذله من جهد خاص ، الى كتابات من سبقوه فى هــذا الباب ، يستفيد منها ، ويقوى بما يجده فيها حججه ، ليكون مؤلفه غاية فى كمال الرد على النصارى •

لقد طالع المؤلف ، كما ذكر ، كتب العهدين ، القديم والجديد ، التى بأيدى النصارى كما طالع كثيرا من مصنفاتهم ، وتآليفهم فى نصرة دينهم ، واحتجاجهم لأغاليطهم وما ردت به كل فرقة من فرقهم الثلاث : الملكيــة ، والنســطورية ، واليعقوبية على الأخــرى وما نصرت به مذهبهــا(١١) •

وطالع ، اخيرا ، عدة ردود للمسلمين عليهم ، ومن ذلك ما كتبه القاضى عبد الجبار المعتزلى والجاحظ من المعتزلة أيضا ، والباقلانى والجوينى من اهل الســنة •

فها نحن أولاء نرى ان المؤلف قد جمع من المصــادر ما كان يمكن ان يتيسر لمثله مما يجعله عالمــا بمعظم وجهة نظر كل من الفريقين ، ومواطن الضعف عند الخصم ، والمناهج المختلفة فى الرد عليه ، بغية جعل مؤلفه ، كما قلنا ، جامعا لكل ما يمكن ان يتجه الى النصارى من نقد ، وما عسى أن يكونوا قد اســـتندوا اليه فى نصرة دينهم مما يســتوجب التفنيــد والرد •

والحق ان المؤلف لم يترك عقيــدة من عقائد النصارى الأســاسية الا وجه اليها من النقد ما يدل على خبرته وعلى مدى استفادته من كل ما ذكره من مراجع ، الى الحد الذى يمكن معه القول ، دون خوف

---

(١١) تخجيل من حرف الانجيل ، ورقة ٣ (وجه) •

الوقوع فى محذور المبالغة ، بأن الذين تناولوا هـذا الموضوع ، ممن جاء بعده من المجادلين المسلمين لم يضيفوا جديدا الى ما جمعه فى مؤلفه ٠ والذى يقرأ كتابه الذى بين أيدينا ، ويقارن بينه وبين كتاب « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » الذى كتبه ابن تيمية فى أربعة أجزاء ، يجـد أنه لا يعدو أن يكون تكررا لمـا ذكره مؤلفنا قبله بحـوالى قرن من الزمان ٠

وفضيلة أخرى نذكرها لصـالح بن الحسين ، هى انه احد القلائل الذين ذكروا مصادرهم ، واعترفوا باستفادتهم من مؤلفات غيرهم ، ممن سـبقوه ومن معاصريه ، وتلك امانة علميـة لم يعتد كثير من المؤلفين أن يتحلوا بها ، فكثيرا ما نقرأ آراء لمؤلفين يدعـون التفرد بها ، لكننا لا نلبث أن نجدها مذكورة فى مؤلفات من سبقوهم ، وقد خشى بعضهم اكتشاف أمره ، فكانوا يقولون اذا اكتشف احد معاصريهم أن آراءهم قـد سـبقهم بها غيرهم : انما هو توارد خواطر ٠ وقـديما تعرض الغزالى لمثل هـذه الملاحظة ، أو خشى أن يتعرض لها فأبى أن يعترف باستفادته من احد ، وقال قولته المشهورة : « لا يبعد ان يقع الحافر على الحافر » ٠

على أن المؤلف ، رغم ما ذكرنا من أمانته العلمية ، لا يذكر مواضع استفادته من كتابات من تقدمه ، ولا يشير الى فقرات بعينها من مؤلفاتهم ، الأمر الذى يجعلنا لا نستطيع أن نحدد بدقة آثار كل من تلك المؤلفات فى تفكيره حول الموضوع ٠

كذلك فانه عندما يذكر نصا من الكتاب المقدس لا يشـير الى النسخة أو النسخ التى استخرج منها هـذا النص ، الأمر الذى جعلنـا نبـذل جهدا مضنيا فى البحث عن مكان هذه النصوص ٠ ويضـاف الى هذه الصـعوبة صعوبة اخرى ، هى انه كثيرا ما يذكر فقرات الكتاب المقدس مختصرة ، أو يوردها بالمعنى ، وهو أمر يجافى الأمانة العلمية ، فعـل ذلك عنـدما كتب مؤلفه الأصلى : « تخجيل من حرف الانجيل » ولم يصحح هذا الخطأ عندما عمد الى اختصاره فى المخطوط الذى بين أيدينا ٠ وقد شـعر المؤلف بذلك ، فاعتذر بقوله : « هذا ما جمعناه

من كتبهم ، فمنه ما ذكرناه بنصه ، ومنه ما ذكرناه مختصرا ، لركاكة اسلوبه »(١٢) ٠

وكمثال على عدم دقة المؤلف فى نقل النصوص وتصرفه فيها ، نذكر فقرة استشهد بها على تناقض الاناجيل التى بأيدى النصارى ، فقد قال : « موضوع آخر (من التناقض) ، ذكر لوقا ان المسيح قال : « انى لم آت لأهلك نفوس الناس ، ولكن لأحيى » ، وخالفه الآخر فقال : قال المسيح : « انى لم آت لألقى على الأرض سلامة ، ما جئت لألقى سلامة ، لكن سيفا اضرم بها نارا » ، وذلك تناقض عظيم »(١٣) ٠ ففى هذه الفقرة ذكر المؤلف نصين متعارضين نسب الأول منهما الى لوقا ٠ غير اننا لم نعثر على هذا النص فى انجيل لوقا ، وانما عثرنا على فقرة تفيد المعنى الذى ذكره ، ونصها كالآتى : « لا يأتى اللصوص الا لكى يسرقوا ويقتلوا ويهدموا ، اما انا فقد جئت لتكون للخراف الحياة ، ولتكون لهم بوفرة »(١٤) ٠

اما بالنسبة للنص الثانى ، وهو النص الذى لم يذكر المؤلف مصدره ، فقد وجدناه مذكورا فى انجيلين مختلفين ، مع شىء من التغاير ، فقد وجدنا الفقرة الأولى فى انجيل متى ، ونصها : « لا تعتقدوا انى جئت لألقى على الأرض سلاما ، لم آت لألقى سلاما ، بل سيفا »(١٥) ٠ اما الفقرة الثانية التى تذكر ان عيسى عليه السلام جاء ليضرم النار ، فقد عثرنا عليها فى انجيل لوقا وهى : « انما جئت لألقى على الأرض نارا »(١٦) فقد ذكر المؤلف عبارة « انى لم آت لأهلك نفوس الناس » وهى غير موجودة فى النص الانجيلى ، واستبدل عبارتى

---

(١٢) تخجيل من حرف الانجيل ، الجزء الثانى ، ورقة ٩٤ (وجه) ٠

(١٣) الرد على النصارى ، ورقة ٤١ (ظهر) ، ٤٢ (وجه) ٠

(١٤) انجيل يوحنا ، اصحاح ١٠ عد : ١٠

(١٥) انجيل متى ، اصحاح ١٠ ، عد : ٣٤

(١٦) انجيل لوقا ، اصحاح ١٢ ، عد : ٤٩

« الخراف » و « السلام » بعبارتى « الناس » و « السلامة » ، كذلك فهو قد جمع بين فقرتين من انجيلين فى فقرة واحدة ، وذكرهما فى سياق واحد ، وكل ذلك تصرف منه ، يخل بامانة النقل ، وان كان لا يخل بالمعنى .

ولنسق مثالا ثانيا لعدم دقة المؤلف ، ننقله مما ذكره فى معرض الاستشهاد على نبوة محمد عليه السلام ، وذكر الفقرات التى تدل على التنبؤ بمجيئه فى كتب العهد القديم . قال المؤلف : « وقال داوود عليه السلام : لترتاح البوادى وقراها ، ولتسر أرض قيدار مرحا ، ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ، ويدفعوا تسابيحه فى الجزائر قال المؤلف : ليت شعرى ، لمن البوادى غير امة محمد ﷺ »(١٧) اننا لم نعثر على هذه الفقرة فى مزامير داوود عليه السلام ، وانما عثرنا على فقرة تؤدى معناها فى نبوة اشعيا ، ونصها كالآتى « لترفع البوادى وقراها أصوات الصلاة ، وليسبح سكان أرض قيدار ، ولترفع الأصوات من قلل الجبال بحمد يهوه وليعلنوا مجده فى الجزائر »(١٨) فقد نسب المؤلف هذه الفقرة ــ خطأ ــ لداوود ، بينما هى لاشعيا ، عليهما السلام ، وعبر عن كلمة « يهوه » بكلمة « الرب » وتصرف فى النص على النحو الذى نراه ، وهذا كله غير مقبول .

ومما تجدر الاشارة اليه ، بصدد الحديث عن تصرف المؤلف فى النص ، أنه يذكر كثيرا من الفقرات من العهد القديم فى معرض الاستشهاد على دلائل نبوة محمد ﷺ ويثبت فيها لفظ « محمد » ، وهذا اللفظ غير موجود على الاطلاق فى الكتاب المقدس ، فمن ذلك هذه الفقرة التى ادعى أنه عثر عليها فى مزمور من مزامير داوود عليه السلام : « ان ربنا عظيم محمود جدا ، وفى قرية الهنا قدوس ، ومحمد قد عم

---

(١٧) الرد على النصارى ، ورقة : ١٠ ، (وجه) .
(١٨) نبوة اشعيا ، اصحاح ٤٢ ، عد : ١١ ، ١٢

الأرض كلها فرحا »(١٩) ولعل المؤلف انما عمـد الى عبارات الكتاب المقدس التى تؤدى معنى « الحمد » ومشتقاته ، وتصرف فيها على عادته ، لتصير « محمد » ٠

تلك هي بعض الملاحظات المتعلقة بمصادر المؤلف وبامانته فى النقل عنها ٠

وقد استدعانا هذا التصرف من جانبه فى نقله للنصوص الى بذل جهود مضنية للعثور على اصـول تلك النصوص فى الكتاب المقدس بشطريه : العهد القديم ، والعهد الجديد ، فأرجعنا ما استطعنا العثور على اصـل له فيها الى اصله ، وأثبتنا ذلك بالهامش ، وذكرنا ـ عنـد عـدم العثور على الأصل ـ اننا لم نعثر له فيهما على أثر ٠

ويضاف الى هذه المـلاحظه ملاحظة اخرى ، ليست اقل من سابقتها خطرا ، هى ارجاع المؤلف للنصوص ، عندما يذكرها ، الى فصـول من الكتاب المقدس غير الفصول الموجودة فيها حاليـا ٠ وكان هذا مما ضاعف الجهـد المبذول فى التحقيق ، اذ كان من المحتم علينا ان نبحث فى طول الكتـاب المقدس وعرضه لا عن النص وحده ، بل وعن مظان وجوده فيـه ، وكان هـذا العمل اقرب الى تحقيق المستحيل ٠ ولا نبالغ اذا قلنا ان البحث عن بعض هـذه النصوص ، وتعيين مكانه قد استغرق أياما باكملها ، ان هذا الجهد يعرفه كل من تصدى او يتصدى بأمانة لتحقيق النصوص القديمة ، خصوصا الدينية منها ٠

ويمكن القول ان مسئولية المؤلفين القدامى عن الدقة الكاملة فى ايراد النصوص مسئولية محدودة ، ذلك أن الزمن الذى كانوا يكتبون فيـه مؤلفاتهم يختلف عن زماننا هـذا ، والقارىء فى الزمن القـديم لم يكن يطالب المؤلف بتلك الدقة التى يطالبهم بها القارىء الحديث فالدقة الكاملة بالنسبة لهم لم تكن فرضا لا محيـد عنه ، بل كانت ميزة

---

(١٩) الرد على النصارى ، ورقة ٩٩ (ظهر) ٠

يشكر عليها من يلتزمها ، ولا يوآخذ من تركها • ولعلنا نلتمس العذر لعـدم دقة المؤلفين فى الرد على النصارى اكثر من غيرهم لعـدة اسباب ، منهـا :

اولا : ان الكتاب المقدس قـد كتب بلغات غير العربيـة وعمـدت الكنائس المختلفة الى ترجمتـه كليـا او جزئيا ، بتقسيمات تروق لها وبدرجات متفاوتة فى دقة الترجمـة ، وكانت اللغة العربيـة من احدث اللغات التى ترجم اليها الكتاب المقدس ، بعـد ان انتشر الاسلام فى البـلاد التى كانت تدين بالمسيحية واصبحت اللغة العربية هى اللغـة السـائدة فيها بعد هجر اللغـات الأصلية كالقبطية ، فى مصر الاسلامية • ومنها :

ثانيا : ان الأهداف والأغراض الشخصية كثيرا ما كانت تتدخـل فى ترجمة النصوص الدينية بالذات ، لتعطى للنص المترجم معنى يتفق ومعتقدات الكنيسة التى ينقل النص الى لغتها ، او لتتحكم فى تقسـيم الأسـفار او الاصحاحات بالنسبة للانجيـل الواحد او النبوءة الواحدة ، وقد ترتب على ذلك ، بالطبع ما اشرنا اليـه من الصعوبة فى تحقيق النص او تحديد مكانه • ومنها :

ثالثا : الخطا الذى يقع فيه الناسخ سهوا وبدون قصد وهـذا ايضا شـائع ومشهور ، ويتسبب بدوره فى اثقال كاهل المحقق والزامه بزيادة الحيطة والانتباه •

واذا كنا قد ذكرنا بعض الأخطاء التى وقع فيها المؤلف عند نقله للنصوص الدينية من كتب العهدين القديم والحديث ، فان علينـا ، احقاقا للحق ، ان نذكر ما عمـد اليه بعض المجادلين المسيحيين عندما تصـدوا للرد على المسلمين ، من « تحريف » متعمد لآيات القـرآن الكريم ، مع انه نص واحـد لا خلاف عليـه ، لتؤدى المعانى التى يريدونها • ومن ذلك ما لجا اليـه بولس الراهب ، اسـقف صـيدا ، فى القرن الثالث عشر الميلادى ، من تحريف لبعض آيات القرآن الكريم ، فى الرسـالة التى بعث بها الى بعض اصدقائه من المسلمين ، بهدف

جعل القرآن الكريم مساندا لوجهة نظره فى القول بالهية المسيح ، وبأن الاسلام لم يأت لغير العرب(٢٠) فنحن ننبه الى خطورة هذا النوع من الأخطاء المتعمدة ، لأنه يؤدى الى تشويه الحقائق ، ويعمق روح الجدل ، بدلا من ان يكون طريقا الى الهداية الى الدين القويم .

* * *

الجدل الاسلامى / المسيحى ومناهجه

(أ) **الجدل** : نحاول تحت هذا العنوان ان نجيب على السؤال الآتى : هل يسمح الاسلام بالجدل الدينى ، وخصوصا مع أهل الكتاب ؟

ان موقف القرآن الكريم من هذا الجدل صريح وحاسم ، وهو المنع ، اذ يقول الله تعالى : « **ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن** »(٢١) ، ويقول : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن** »(٢٢) . والطريقة « التى هى احسن » مذكورة فى قوله تعالى : « **قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون** »(٢٣) .

ولعل موقف الرسول ﷺ فى المباهلة ، وهو بوحى من الله ، يمثل الموقف الأمثل تجاه اى نداء الى الجدل والخصومة مع اهل الأديان الأخرى ، اذ عندما قدم وفد نجران ليجادل النبى ﷺ حول حقيقة عيسى عليه السلام ، وحاول ان يثبت الهيته ، فانه لم يسمح لهم بالجدل حول

---

(٢٠) قام القسيس بولس خورى (Poul Khoury) بنشر هذه الرسالة مع ترجمتها الفرنسية ، مسبوقة بدراسة تمهيدية فى منطق الجدل الاسلامى / المسيحى فى بيروت ، ضمن ابحاث معهد الدراسات الشرقية ، (بدون تاريخ) .

(٢١) العنكبوت : ٤٦ (٢٢) النحل : ١٢٥

(٢٣) البقرة : ١٣٦

هذا الموضوع ، لظهور وجهة نظر المسلمين فى شــأن عيسى عليه السلام ، واكتفى بدعوتهم الى المباهلة ، عملا بقوله تعالى : « **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونســاءنا ونساءكم وانفســنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**»(٢٤) ٠

والمتامل لطبيعة النفس البشرية يدرك الســبب فى تحذير القرآن للمسلمين من الخوض فى المجادلات الدينية ، ذلك أن قضية الايمان هى بطبيعتها قضية شخصية ، والموقف الذى يتخذه اى منا حيال اى معتقد هو موقف روحى نفسى اكثر منه عقلى ، فالذى تروق له ــ نفســيا ــ مبادىء دين أيا كان ، أو تعجبه عقيــدة مهما كانت ، يجد نفسه منقادا الى اعتقادها ، دون حاجة الى ســند عقلى صــارم ، بل انه يعتنقها حتى وان تعارضــت مع مبــادىء العقل البسيطة ، والذى لا يجــد فى عقيــدة ما لا يلائم طبيعتــه ، فانه لا يستطيع الايمان بها ، وان احاطت به الأدلة العقلية الدامغة من كل جانب ، بل انه يرفضها وان دلت على صحتها المعجزات ٠ ولعل هذا يتوافق مع قوله تعــالى : « **ولئن اتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما انت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض** »(٢٥) ٠ ومن اجل هــذا وضع القــرآن الكريم هذا المبدأ : « **لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى** »(٢٦) ، وفى اطــار هذا المبــدأ تلقى الرســول ﷺ هــذا الأمــر الالهى : « **فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فان اسلموا فقــد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد** »(٢٧) ٠

ولقد حافظ المسلمون على هذه المبادىء طوال الفترة التى سبقت الفتوح والتى اعقبته مباشرة ، ولكنهم اندفعوا بعد ذلك فى جدال مرير مع اهــل الكتاب ، وعلل بعض من تصدى لجدال النصارى النهى عن الجدل مع اهل الكتاب الوارد فى القرآن الكريم بان النهى لم يتجه الا الى

---

(٢٤) آل عمران : ٦١

(٢٥) البقرة : ١٤٥

(٢٦) البقرة : ٢٥٦

(٢٧) آل عمران : ٢٠

المسلمين الأوائل ، قبل أن تتسع رقعة الاسلام ويشتد ساعده ، اما بعد ذلك فقد اصبح الجدل معهم مسموحا به ، بل اعتبره البعض جهادا فى سبيل الله(٢٨) ·

والواقع ان انسياق المسلمين نحو الجدل كان بفعل الظروف ، فلم يكن أمامهم سوى هذا الطريق ، ذلك أن الرقعة التى انتشر فيها الاسلام بفعل الفتح كان معظمها ماهولا بأهل الكتاب ، ممن يدينون بالنصرانية أو اليهودية · وطبيعى ان يحدث احتكاك متعدد الصور والجوانب بين المسلمين ــ اهل العقيدة الجديدة ــ وبين ارباب العقائد الاخرى ، خصوصا على الجانب الفكرى والعقائدى ، وكان لا بد أن يندفع كل فريق لينصر عقيدته ويبرز محاسنها ومميزاتها ·

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الاسلام ما انفك يدعو اهل الكتاب الى الدخول فى دين الله ، الأمر الذى حتم على من آثر منهم البقاء على دينه أن يبرر رفضه للدين الجديد · فبعد انتشار الاسلام وجدت الجماعات غير المسلمة ــ وخصوصا النصرانية ــ نفسها امام خيار صعب : الاسلام أو دفع الجزية · فالذين فضلوا البقاء على دينهم ودفع الجزية وجدوا انفسهم من جديد مضطرين للاجابة عن هذا السؤال : لماذا لم يختاروا الاسلام ؟ فكان عليهم أن يشرحوا موقفهم ويبرروه ، وكان شرحهم وتبريرهم مشتملا بالضرورة على نقد للاسلام · يتضح ذلك من عدة مواقف وكتابات لرؤساء النصارى الدينيين ، فقد اضطر يوحنا الدمشقى ــ دفاعا عن بقائه على دين النصرانية ــ الى توجيه عدة انتقادات الى الاسلام ، اشهرها « ان المانع له من الدخول فى الاسلام هو ان المسلمين قد قبلوا الاسلام والقرآن دون شاهد على صحة رسالة محمد »(٢٩) اى دون أن يأتى

---

(٢٨) هذا هو الرأى الذى يقول به كل من تصدى للرد على النصارى ، راجع ــ على سبيل المثال ــ كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية ، الجزء الأول ، ص ٧٨ وما بعدها ·

(٢٩) راجع :

Paul Khoury : Gean Damscene et, l. Islam Peoche - Oeient Chrétien, tom VII, p. 60 et saiv.

محمد عليه السلام بمعجزة . عند ذلك اضطر المسلمون الى دفع هذه الاتهامات ، فاندفعوا يدرسون الكتاب المقدس ليجدوا فيه ما يمكنهم من أن يكيلوا لخصومهم الصاع صاعين ، وهكذا دارت عجلة الجدل بين المسلمين والنصارى ، ولم تتوقف حتى اليوم ، وتمخض هذا الجدل عن آثار سنتناول بعضها فى نهاية هذه الدراسة .

(ب) منهج الجدل : نرى لزاما علينا ، قبل عرض المنهج الذى سار عليه مؤلفنا فى نقده للمسيحية ، أن ننبه الى عدة نقاط رئيسية ، كانت هى الأسس التى استلهمها المسلمون فى نقدهم لتلك الديانة بالصورة التى هى عليها ، والى الأطوار التى مرت بها مناهج النقد لها عندهم .

وأول ما نود أن ننبه اليه هو أن نقد المسلمين لهذه الديانة لم يتبع المنهج التاريخى المعروف . فطبقا لهذا المنهج ، يقوم الدارس بتتبع الأطوار التى مرت بها المسيحية ، منذ ظهورها فى فلسطين ، حتى استقرت بشكلها الحالى فى شتى ارجاء العالم ، مرورا بالعصر الرسولى ، ثم قيام الكنيسة كادارة دينية ترعى شئون المؤمنين من الناحية العقائدية ، ثم ظهور المدارس اللاهوتية (الكلامية) واستحكام سلطة آباء الكنيسة ، ثم ظهور المدارس الصوفية والأديرة بأنظمتها المختلفة ، ثم ظهور حركات الاحتجاج .... الخ . ان مثل هذه الدراسة تقف الدارس على حقيقة هامة هى ان عقائد المسيحية الرئيسية ، كالتثليث والتجسد والخطيئة الأصلية والأسرار ، لم تكن موجودة فى البداية ، عند ظهور عيسى عليه السلام ، وطوال قرن ونصف قرن بعد ان رفعه الله اليه ، وانما استقرت فى المسيحية ، كعقائد رئيسية ، الواحدة بعد الأخرى ، على يد الرؤساء الدينيين ، وعلى فترات متباعدة ، بحيث يمكن معرفة الظروف والملابسات التى نشأت فيها كل منها ، ووقت ظهورها بكثير من الدقة .

لا مجال فى هذا المنهج التاريخى للجدل ، فالحقائق فيه لا تخضع لوجهات النظر ، لأنها مستمدة من الوثائق التاريخية . لكن المسلمين

لم يستطيعوا أن يتبنوه ، لأنه يتطلب معرفة تامة بالتطـــور الفكرى والدينى فى الجزء الجنوبى الشرقى من قارة أوروبا وفى آسـيا الصغرى فى العصر الذى انتقلت فيـه النصرانية الى هناك ، وهذا يتطلب بدوره معرفة تامة باللغة اليونانية ، الشىء الذى لم يكن متيسرا لعلماء الكلام المسـلمين فى بداية تعرضهم لنقد المسـيحية ، لذلك اكتفوا ، مضطرين ، ببناء نقدهم على معطيات نصوص الكتـاب المقدس وحدها ، وهى غير كافيـة لقيـام نقـد موضـوعى ، لأنه نقـد يقوم على رفض النص ، أو تفسـيره ، بناء على مفاهيم اسـلامية خالصـة فى الحالتين ، والمفاهيم الاسـلامية فى القبول والرفض لا تصلح فى مواجهة خصم له معطيـاته الدينية الخاصـة به ، والتى كونها فى جو ثقافى خاص .

وبناء على ذلك ، فان نقـد المسلمين للنصرانية ادى الى عـدم القدرة على التفاهم مع خصومهم ، لانهم لم يكونوا يتحدثون بلغـــة واحدة ، وهو شرط اسـاسى لجعل الحوار او الجدل مثمرا . ولنوضح الأمر : يعتقد المسلمون ان القرآن الكريم الى جانب السـنة النبوية الصحيحة هما الأسـاس الوحيد لعقائد الاسـلام الأساسـية ، لأن كل ما عداهما فهو شـارح لهما أو مستقى منهما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، فاعتبروا ان الأمر كذلك بالنسبة للأديان الأخرى ، وبالنسبة الى ديانات اهل الكتـاب على وجـه الخصوص ، فنقدوا عقائد اهـل الكتـاب ، وخصوصا عقائد النصارى ، على أساس ان الكتاب المقدس هو الأصـل الوحيـد لعقائدها ، وهذا ما لا يعتقده المسيحيون ، فهم يعتقدون ان الكتـــاب المقدس هو احـد المصـادر التى تقوم عليهـا عقائدهم ، الى جانب آراء آباء الكنيسـة وقرارات البابا ، وهى عندهم لا تقل فى صحتها وصـلاحيتها كمصـدر لاسـتقاء العقائد الدينيـــة من الكتاب المقدس . انهم يعترفون مثلا بان عقيـدة التثليث لم تتقرر الا فى القرن الرابع الميلادى ، وبناء على قرارات مجمع نيقية (Nicée) لكنهم يعتبرون أن هذه القرارات قد صـدرت بمعونة الهية لأعضاء المجمع الذين اقروها ، فهى ، لذلك ، لا تقل فى صحتها ووجوب الايمان بها عما تضمنه الكتـاب المقدس من عقائد . كذلك ، فان المسلمين يعتقدون

ان الرسول وحده هو موضع العصمة ، ومصدر ابلاغ العقائد السماوية ، عن طريق الوحى ، فاعتقدوا الأمر كذلك ، أو اعتقدوا انه لا بد ان يكون كذلك فى المسيحية ، ورفضوا أن يولوا اية اهمية لغير ما يصدر عن عيسى عليه السلام ، وبطريقة مؤكدة ، من عقائد ، بينما الأمر على خلاف ذلك عند النصارى ، انهم يعتقدون وجود ثلاثة أنواع من الاتصال بين الاله والبشر هى : الوحى ، والالهام ، والمعونة ، وان ما يقرر من عقائد صادرة عن أحد هذه الأنواع له قيمة ما يصدر عن النوعين الآخرين سواء بسواء . واذا كانوا يتفقون مع المسلمين فى أن الوحى لا يهبط الا على الرسول ، فانهم يختلفون معهم فى ان الالهام والمعونة قد يخص الله بهما من عدا الرسول فيكون كلامهم موضعا لضرورة التصديق والايمان .

من أجل هذا لم يكن المجادلون ـ من الفريقين ـ يتحدثون لغة واحدة كما قلنا ، حتى ينتهى صراعهم الجدلى الى نتيجة حاسمة ، بل استمروا حتى اليوم يتحدث كل فريق منهم لغته الخاصة ، ظانا انه يقوم بتقويض دعائم اعتقادات خصمه .

ونريد ان ننبه أخيرا الى ان موقف بعض المجادلين المسلمين تجاه نص الكتاب المقدس موقف متحفظ ان لم نقل انه موقف متردد . انهم يقبلون منه ما نص القرآن الكريم على صحته ، بدون نقاش ، ويرفضون منه ما نص القرآن الكريم على تحريفه دون نقاش أيضا لكنهم يترددون فيما عدا ذلك . وسبب ترددهم ما ورد عن رسول الله ﷺ من قوله : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم .. » ، فهم يخشون أن يصدقوهم فيما قد يكون محرفا فيرتكبون بذلك خطأ دينيا جسيما ، وهم يخشون كذلك أن يكذبوهم فيما قد يكون صحيحا فيقعون بذلك تحت طائلة الذنب والعقاب ، وذلك لعدم توفر الوسيلة الناجعة للتمييز بين المحرف وغير المحرف فى الكتاب المقدس . يقول الكرمانى : « لقد أمرنا أن نؤمن بالكتب المنزلة على جميع الأنبياء ، وليس لدينا ما نستطيع به أن نميز الصحيح من الباطل فيما نقله مؤلفوها ، فنحن

لا نصدقهم ، حتى لا نكون شركاءهم فيما حرفوه من هذه الكتب ، ولا نكذبهم ، لامكان ان يكون ما نقلوه صحيحا ، فنكون قد أنكرنا ما أمرنا بالايمان به »(٣٠) • ولم يسمح المسلمون لأنفسهم بالحكم على ما يحتويه الكتاب المقدس بالصحة أو بعدمها الا فى عصرنا هذا ، وبعد ان اطلعوا على شىء من تاريخ المسيحية ، فقد ذهب المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ، فى كتابه « قصص الأنبياء » الى جواز النظر فى الكتاب المقدس واستخدام العقل المجرد فى الحكم بصحة بعض أجزائه أو بعدم صحتها ، الأمر الذى جعله يقع تحت طائلة اللوم والتحقيق(٣١) •

أما معظم المجادلين المسلمين فقد اختلف موقفهم ما بين الرفض وعدمه لنص الكتاب المقدس باختلاف موقفهم الجدلى ، وباختلاف المنهج الذى اتبعه كل منهم فى نقده للنصرانية •

فمنهم من اصطنع المنهج التفسيرى ، الذى يقوم على التسليم جدلا بصحة الأناجيل ، ثم البحث فيها عن العبارات التى توهم الهية المسيح ، والتى يتشبث بها النصارى ، وتفسيرها تفسيرا يخرجها عن معناها الحرفى ، ثم مقابلتها بعبارات والفاظ أخرى من هذه الأناجيل ذاتها تدل على انسانية •

ولسهولة هذا المنهج ، فقد استهوى عددا كبيرا من المتكلمين المسلمين ، نذكر منهم على سبيل المثال : القاسم بن ابراهيم ، الشيعى ، اليمنى ، المتوفى عام ٢٤٦ هـ ، فى كتابه : « الرد على النصارى »(٣٢) •

---

(٣٠) البقاعى : الأقوال القديمة فى حكم النقل من الكتب القديمة ، المكتبة الأهلية بالقاهرة ، ورقة ١٨ (وجه) •

(٣١) راجع مقدمة كتابه « قصص الأنبياء » ، ونص المحاكمة التى اجريت له من قبل جماعة من كبار العلماء ، والمنشورة بنصها فى الكتاب المذكور •

(٣٢) نشره : ى • ماتيو (I. Mattéo) عام ١٩٢٢ فى ايطاليا •

ونذكر منهم ايضا الغزالى ، المتوفى عام ٥٠٥ هـ فى كتابه : « الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل »(٣٣) ٠

ولما كان التفسير الذى يقوم عليه هذا المنهج امرا « مطاطا » وشخصيا الى حد بعيد ، فقد عمد الغزالى الى وضع قاعدتين لا ينبغى للتفسير ان يتعداهما حتى تصدق عليه صفة المنهجية ٠ وهاتان القاعدتان هما :

١ - أن النصوص موضع التفسير يجب ان تحمل على ظاهرها وتؤخذ بمعناها الحرفى اذا كان هذا الظاهر لا يصادم العقل ٠ اما اذا كان ظاهرها مصادما للعقل فانه يجب اللجوء الى تأويلها ، للاقتناع حينئذ بأن ظاهرها غير مراد(٣٤) ٠

٢ - أن الدلائل اذا تعارضت ، فدل بعضها على اثبات حكم وبعضها على نفيه فلا نتركها متعارضة ، الا اذا احسسنا من أنفسنا العجز ، باستحالة امكان الجمع بينها ، وامتناع جمعها متضافرة ، مرة واحدة(٣٥) ٠

وبناء على هذه القاعدة ، التى تبناها من بعده بقية المجادلين المسلمين المتبعين لنفس المنهج ، يستعرض المجادل الاسلامى ما فى الانجيل من الفاظ وعبارات دالة على انسانية عيسى ، مثل العبارات التى تدل على تصرفه الانسانى ، من السعى والأكل والشرب ، والعبارات التى تصرح بأنه انسان ، ويقولون انها هى المرادة للسيد المسيح وهى الدالة على حقيقة أمره ٠ ثم يتبعون ذلك بالعبارات والألفاظ الموهمة لالهيته مثل عبارات : « ابن » و « بنوة » و « حلول » و « الأب » و « الأبوة » ، ويفسرونها تفسيرا مجازيا ، يقولون فيه ان ظاهرها غير مراد ، لأن العقل يحيل ارادة هذا الظاهر ، لأنها تتعارض مع العبارات والألفاظ الأخرى الدالة على انسانيته فالمسيحيون مثلا ، يستدلون على الهية المسيح

---

(٣٣) نشره مع ترجمة فرنسية : روبرت شدياق (Robert Chidiac) عام ١٩٣٩ فى بيروت ٠

(٣٤) الرد الجميل : ص ٨

(٣٥) الرد الجميل : ص ٨

بالنص الآتى : « انا والآب واحد »(٣٦) ، ويتشبثون بنص آخر هو : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كانت مع الله ، والكلمة كانت هى الله .. والكلمة صار جسدا ، وحل فينا ، ورأينا مجده »(٣٧) .

اما المسلمون ، أو هذا الفريق من المجادلين ، فانهم لا يقبلون المعنى الحرفى لمثل هذه النصوص « لأن العقل يحيله » ، ويفسرونها تفسيرا مجازيا . فـ « الكلمة » ، الواردة فى بداية هذا النص الأخير لا تعنى المسيح ، كما يتوهم المسيحيون ، بل تعنى الأمر الالهى المتمثل فى قوله تعالى : « كن » والمعبر عنها فى قوله تعالى : **« انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »**(٣٨) وعبارة : « والكلمة صار جسدا » ، الواردة فى نفس النص ، لا تعنى « التجسد » الذى يدين به النصارى ، بل تعنى ان أمر الله اى كلمته ، وهى قوله : « كن » قد نتج عنها جسد المسيح ، كما تتكون كل الحوادث عن أمره تعالى ، اى كلمته ... وهكذا .

وهم لا يكتفون بهذا التأويل المجازى الذى دعت اليه ضرورة العقل ، بل يؤكدون دعواهم الأصلية ، وهى انسانية عيسى عليه السلام ، بنصوص أخرى انجيلية ، يدل ظاهر عبارتها على انسانية . فمن ذلك ما هو مذكور فى بداية انجيل متى من قوله : « نسب عيسى المسيح ، ابن داوود ، ابن ابراهيم »(٣٩) .

ذاك هو احد المناهج التى يتبعها بعض المجادلين المسلمين ، لاثبات انسانية عيسى عليه السلام ، انهم ـ كما قلنا ـ يفترضون جدلا صحة النص الانجيلى ، ويحاولون من خلال تفسيره الوصول الى هدفهم .

اما المنهج الثانى فهو يقوم على أساس وضع النص الانجيلى بكامله

---

(٣٦) انجيل يوحنا ، الاصحاح العاشر ، عد : ٣٠
(٣٧) انجيل يوحنا ، الاصحاح الأول ، عد : ١ ـ ١٤
(٣٨) يس : ٨٢
(٣٩) انجيل متى ، الاصحاح الأول ، عد : ١

موضــع الشـك ، وذلك عن طريق التشكيك فى طريقة وصـوله الينا ، أى عن طريق التشكيك فى رواته ، اما لأن عددهم كان فى الطبقة الأولى قليـلا لا يكفى لبناء الثقة فيـه ، واما لأنهم لم يكونوا عدولا يؤمن تواطؤهم على الكذب ، واما للأمرين جميعا ، هذا بالاضافة الى وجود التناقض بين نصـوص الأناجيل ذاتها ٠

ان هذا المنهج هو منهج المحدثين فى توثيقهم أو تضعيفهم للأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ ، بناء على أساس ارتضوها فى تحديد عـدد الرواة اللازم لكل حديث ، فى كل طبقـة ، وفى الصفات التى لا بد من توافرها فى كل راو من الرواة على حدة ٠ وفارس هـذا المضمار هو ابن حزم الأندلسى المتوفى عام ٤٥٦ هـ ، فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » ٠ لقد نقل هـذا المنهج وطبقه على الأناجيل لرفع الثقة بها ٠ يقول ابن حزم فى هذا الصدد : « فجميع نقل النصارى ، أوله عن آخره ، حيث كانوا ، فهو راجع الى الثلاثة الذين سمينا فقط ، وهم : بولس ، ومارقوس ، ولوقا ، وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون الا عن خمسـة فقط ، وهم باطرة (بطرس) ، ومتى ، ويوحنا ، ويعقوب ، ويهوذا ولا مزيد ٠٠٠٠٠ على ان بولس ، وهو أعظم شخصيات الجيـل الثانى ، فهو لم يعش مع الحواريين الذين رأوا عيسى ٠٠٠٠ أما الجيل الأول ، اى الأشخاص الذين كانوا يعيشون فى زمن المسيح ويرونه ، فهؤلاء لم يكونوا كثيرى العدد ٠٠٠٠ وفضلا عن ذلك فانهم لم يكونوا يحيون حياة عادية حتى يؤخذ بشهادتهم »(٤٠) ٠

فابن حزم يركز هنا على أن عـدد رواة الأناجيل ــ فى الجيلين الأول والثانى ــ لم يكن كافيا لوجوب الجزم بصـحة ما نقلوه ٠ وهو يشير الى حقيقة يذكرها مؤرخو المسيحية جميعا ، وهى أن القرنين : الأول والثانى من حياة المسيحية يمثلان فترة يكتنفها غموض شديد يتعذر معـه الوصول الى حقيقة الاعتقاد الذى ساد اثناءهما فيما يتعلق بشخص المسيح ٠

---

(٤٠) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، الجزء الثانى ، ص ٣ ، ٤

ولكن المجادلين المسيحيين قد حاولوا أن يتلافوا نقطـة الضعف هذه ، وذلك بالاستعاضة عن كثرة الرواة برفع قيمـة العدد القليل الذى روى الأناجيل ، الى الحد الذى لا يتطرق معه شـك فى نسبة الصحة الى ما رووه ، أى أن هؤلاء المجادلين قـد واجهوا الكم بالكيف ، فزعموا أن الذين رووا الأناجيل قـد فعلوا الأعاجيب ، وجاءوا بالمعجزات ، وتكلموا بالألسـن كلها ، فكيف يتطرق الشـك الى ما روى عنهم ؟ يقول بولس الراهب ، فى رسـالة يشرح فيها الحال الموجبة للأمم على اختلاف السنتها وتشـاسـع بلدانها ، الدخول مع اليهود فى دين النصرانية طوعا : « أما بعد ، فانه لـما كنا معشر النصـارى ، فى الكفر بالله العظيم منهمكين ، وعما يهواه معرضين ٠٠٠٠ فارسـل الحواريين الأطهـار الينا منبثين فى الأرض بأسرهم ، صادرين الى شرقها وغربها ، مخاطبين لأسود الخلق وأحمرهم ، يتلون على كل امة التوراة والانجيل بلسانها ، وهم مع ذلك قليلون »(٤١) ٠ ثم يقول على لسـانهم : « قلنا : فكأنكم تفعلون آيات ومعجزات ! قالوا : نعم ، وذلك ليس بقدرتنا ، بل بقدرة الذى ارسـلنا »(٤٢) ٠

لكن ابن حزم يتعقبهم وينفى أنهم جـاءوا بالمعجزات فيقول : « ٠٠٠ ولا تمكنـوا البتة ان ينقل احـد عن شمعون باطرة (بطرس) ، ولا عن يوحنا ، ولا عن متى ، ولا عن مارقوش (مرقص) ، ولا عن لوقا ، ولا عن بولس آية ظاهرة ، ولا معجزة باهرة ، لـما ذكرنا من انهم كانوا مستترين مختفين ، مظاهرين بدين اليهود من التزام السبت وغيره ، ٠٠٠٠٠ فكل ما تضيفه النصـارى الى هؤلاء من المعجزات ، فاكذوبات موضوعة ، ولا يعجز عن ادعاء مثلها احد »(٤٣) ٠

وهكذا يكون قد سلم للمسلمين ــ طبقا لمنهجهم ــ ما ادعوه ، من رفع الثقة فى نصوص الأناجيل كلها ، لضعف سلسلة رواتها ٠ ولكى يؤكدوا هذه

---

(٤١) راجع : Paul d'Antioche , op, cit, p.p. 34, 35.

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٤٤

(٤٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، الجزء الثانى ، ص ٥

النتيجة ذكروا ما اعتبروه ـ مترتبا عليها ، ودليلا عليها فى نفس الوقت ، من تناقض الفاظ هذه الأناجيل ومعناها ، خصوصا فيما يتعلق بشخص المسيح عليه السلام . وكمثال على ذلك ننقل ما كتبه شهاب الدين بن ادريس المالكى المعروف بالقرافى فى كتابه : « الأجوبة الفاخرة »(٤٤) . يقول : « ان ابن الانسان لم يأت ليهلك نفوس الناس ، ولكن لينجى » ، وقال الباقون : « ان ابن الانسان لم يأت ليلقى على الأرض سلاما ، بل حربا » ، وهذا كلام تبرأ التلاميذ عنه ، لأن الأول جعله رحمة للعاملين ، والآخرون جعلوه نقمة عليهم »(٤٥) .أما ابن حزم فانه يقول:«وجملة أمرهم فى المسيح عليه السلام ، أنه مرة ـ بنص أناجيلهم ـ ابن الله ، ومرة هو ابن يوسف وابن داوود وابن الانسان ، ومرة هو الله الذى يخلق ويرزق ، ومرة هو خروف الله ، ومرة هو فى الله والله فيه ، ومرة هو فى تلاميذه وتلاميذه فيه ، ومرة هو علم الله وقدرته ، ومرة لا يحكم على أحد ..... كل هذا نص أناجيلهم ، وهم قد اقتصروا فى دينهم من هذا على انه اله معبود (٤٦) .

فضعف سلسلة الرواة من جهة ، وتناقض الفاظ الأناجيل من جهة اخرى ، كل ذلك يدعو الى رفع الثقة بالأناجيل كلية ، ويجعل الحكم فى حقيقة عيسى عليه السلام منوطا بكتاب آخر ، ثبت بطريقة تواتر الكافة ، ولا تناقض بين أجزائه ، وهو القرآن الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أما المنهج الثالث فى نقد المسيحية فهو منهج عقلى خالص ، يقوم على اساس « لا معقولية » عقائد النصارى فى « التجسد » ، و « الصلب والفداء » و « الخطيئة الأصلية » ، و « الأقانيم » ، وقرارات مجمع نيقية المقدس ، الذى تقررت فيه عقيدة التثليث .

---

(٤٤) مطبوع بهامش كتاب : الفارق بين المخلوق والخالق ، للباجه جى زادة .

(٤٥) الأجوبة الفاخرة ، ص ٣٣ ، ٣٤

(٤٦) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، الجزء الأول ، ص ٢١٦

ورواد هـذا الاتجاه فى نقد المسيحية هم المعتزلة ، فقـد كتب احدهم ، وهو ابو عيسى الوراق(٤٧) ، رسـالة فى نقـد المسـيحية ، استعرض فيها آراء الفرق الشرقية الثلاث : اليعقوبيـة ، والملكانيـة ، والنسـطورية ، فى الاتحاد . ثم اجتهد فى بيان ما يؤدى اليه كل اعتقاد منها من المحالات العقلية ، او النقائص التى لا تليق بذات البـارى سبحانه وتعالى . فاتحاد كلمة الله بالمسيح وتجسدها فيه يؤدى الى اتحاد القديم بالمحدث ، وهذا بدوره يؤدى اما الى قدم المحدث أو حدوث القديم ، وكلا الأمرين محال عقلا . أما على المسـتوى المحسـوس ، فانه يؤدى الى أن يكون الله تعالى ، قد اكل وشرب ، ولحقته جميع العوارض البشرية الأخرى ثم حوكم ، ومات مصلوبا ، وكل هذا محال على الله تعالى .

كذلك فان « الأقانيم » التى يقول بها المسيحيون هى تعبير غامض غير محدد المعنى فهى تارة صفات ، وتارة ذوات ، وتارة صفات ذاتية ، والتردد فى معنى مثل هذه الألفاظ يؤدى الى اللبس ، واللبس لا تقوم عليه عقيدة صحيحة .

والحق أن المسيحيين مختلفون فيما بينهم على تحديد معنى كلمة « اقنوم » . وقـد فسروها بتفاسـير تنم عن الاضطراب وعدم الفهم ، حتى ان احد علمائهم قد ذكر لها اكثر من ثمانية معان ، فهو يقول : ان من بين المعتنقين لآراء الفرق المسيحية من يذهب الى أن الأقنوم معناه « الشـخص » ، ويذهبون الى القول بأن الأب والابن والروح القدس هى اشـخاص ثلاثة ، لكل شخص طبيعته الخاصة . ومنهم من يذهب الى أن الأقانيم الثلاثة هى ثلاث خواص متحدة . ومنهم من يرى انها صفات ، وآخرون يرون انها صفات ايجابية ، وفريق خامس يرى انهـا صفـات ايجابيـة جوهريـة (Substantiels) ، ويرى غيرهم

---

(٤٧) قام بنشر هذه الرسالة فى بروكسل ، عام ١٩٤٩ المستشرق (Abel)

انها هى العقل والعاقل والمعقول ، وهناك من يقول انها صفات ايجابيـــة متميزة لجوهر واحد • ومنهم من يقول انها أحوال (Modalités) »(٤٨) •

يذكر المسلمون هذا الاضطراب ، ويستنتجون منــه ، كما اسلفنا ، ضعف الأســاس العقلى الذى بنى عليه المسيحيون اعتقادهم فى الأقنوم والاتحاد والتثليث • وهم لا يكتفون بذلك ، بل ينقدون مصـــدر قول المسيحيين بهذه الأقوال المتناقضة ، « الخطيئة الأصلية » اذ لولا خطيئة آدم لمــا كان هناك داع ـ على رأيهم ـ لاتحاد الاله بالمسيح تكفيرا عن خطايا البشر •

ورأى المسيحيين يتلخص فى أن آدم عليه السلام قد أخطأ فى حــق الاله لعصيانه أمــره وأكله من الشجرة المحرمــة ، لهذا حلت اللعنــة عليه وعلى عقبه من بعــده • ولمــا كان الله تعالى متصفا بصفتين أساسيتين : هما الرحمة والعدالة ، فقــد اقتضت رحمته أن يعفو عن عباده ، لكنه لمــا كان عادلا ، فقد اقتضى عدله التكفير عن الذنب • ولمــا كان آدم قد أخطــأ فى حق الاله ، فلا بد ، لكى تتحقق العدالة ، أن يقع التكفير عن هذه الخطيئة من اله ، فأرسل الله تعالى ابنه ، أى « كلمته » ، لتتحد بجســد المسيح ، ثم يصلب المسيح ومعه الكلمة ، وبهذا الصلب تكون كلمة الله قد ماتت ، ولو لبعض الوقت ، فبهذا يقع التكفير من الاله عن خطيئة ارتكبت فى حقــه • وهكذا يتحقق الأمران : رحمة الله ، وعدالتــه •

تلك هى الخطيئة الأصلية ، وتفسير اتحاد كلمة الله ببدن عيسى ، وما نشــأ عنــه من قول بالتثليث •

والمسلمون لا ينازعون فى خطيئة آدم ، لكنهم يقولون انها قــد ارتفعت ، بنوبة آدم • ثم انهم ينازعون ميراث الخطيئة ، لقوله تعالى : « **الا تزر وازرة وزر اخـرى** »(٤٩) كما ينازعون فى وجوب التكفير

---

(٤٨) محيى الدين الأصفهانى : رسالة أصــدق الحديث فى شرفى التوحيد والتثليث ، حققها مع ترجمة فرنسية : م • آلارد ، و : ج • ترويو ، بيروت عام ١٩٦٢ ص ٤ ـ ١٠

(٤٩) النجم : ٣٨

بموت الاله أو كلمته ٠ يقول القرافى : « ان النصارى يقولون فى « امانتهم » : ٠٠٠٠٠ ان خطيئة آدم عليه السلام عمت جميع أولاده ، وانه لا يطهرهم من خطاياهم الا قتل المسيح عليه السلام ٠ والتوراة والنبوات ترد عليهم ، ففى السفر الأول من التوراة يقول الله تعالى لقابيل : « ان احسنت يقبل منك ، وان لم تحسن فان الخطيئة رابضة ببابك » ٠ وفى بعض النبوات : « لا آخذ الولد بخطيئة الوالد ، ولا الوالد بخطيئة الولد ، طهارة الطاهر تكون له ، وخطيئة المخطىء عليه تكون » ، وهو تصريح بعدم تخطى الخطيئة محلها ، كقول القرآن الكريم : « ولا تزر وازرة وزر أخرى »(٥٠) ٠

هذا هو المنطق العقلى الذى نقد المسلمون بمقتضاه عقائد المسيحيين ، وهو منطق جارف يستحيل الوقوف أمامه والرد عليه ٠ وقد أحس المجادلون المسيحيون بضعف موقفهم ازاءه ، لذلك آثر بعضهم التقهقر ، وادعى ان عقائدهم تقوم على « الأسرار » كسر التثليث ، وسر التجسد٠٠٠الخ ، وهذه الأسرار لا يستطيع اكتناهها ومعرفة مضمونها الا الرؤساء « الملهمون » ٠ ومن هنا كان سلطان الكنيسة ، كجهة تستطيع وحدها فهم هذه « الأسرار » ، بناء على ميزات خاصة يتمتع بها « البابا » ٠ ومن هنا أيضا كان موقفها كوسيط بين الله والناس ، ودعوتها اتباعها الى قبول ما تطرحه الكنيسة من عقائد دون مناقشة ، ليظفروا بمكان الى جوار المسيح فى مملكة السموات ٠

نصل بعد ذلك الى المنهج الرابع والأخير ، وهو ليس منهجا مبتكرا ، وانما هو مجموع المناهج الثلاثة المتقدمة ، وبمقتضاه يخضع المجادل الاسلامى المسيحية لعديد من أوجه النقد ، بعضها قائم على فهم خاص لنصوص الكتاب المقدس ، وبعضها قائم على رفض النص الانجيلى او التشكيك فى صحته ، بناء على ضعف سلسلة رواته ، وتضارب فقراته ، وبعضها قائم على استحالة تصور العقائد المسيحية من الناحية العقلية الخالصة ٠

---

(٥٠) الأجوبة الفاخرة : ص ١٥١ ، ١٥٢ ـ والآية من سورة الأنعام : ١٦٤

وهذا المنهج متأخر زمنيا عن المناهج الثلاثة السـابقة ، ولم يظهر الا فى بداية القرن السـابع الهجرى ، وكان مؤلفنا صـالح بن الحسـين الجعفرى من أوائل من استخدموه ، بعد أن توفرت لديهم جمهرة من كتب الرد على النصارى القائمة على مناهج متعددة .

وهناك سبب آخر ادى الى ظهور هذا المنهج المتعدد الاتجاهات وهو مراوغة خصومهم من النصارى وعدم التزامهم فى الجدل بموقف واحد ، انك تراهم ، اذا طوردوا على المستوى العقلى الخالص يلجأون الى النصوص ويحتمون بها فى تبرير عقائدهم ، ويلجأون الى العقل فى تبرير هذه العقائد اذا طوردوا على المستوى النصى ، لذلك اضطر المجادلون المسلمون ، ابتداء من القرن السابع الهجرى ، ان يتبنوا مناهج كل من سبقهم ، تضييقا للخناق على خصومهم ، ومحاصرة منهم لهم ، حتى لا يجدون ملجأ يلجأون اليه ، ولا يبقى امامهم الا التسليم بوجهة نظر المسلمين .

* * *

تحليـــل النص

يقسم المؤلف كتابه الى سبعة ابواب ، او ســبع مســائل ، يعتبر كل مسالة منها بابا مستقلا • وهذه المســائل السبع هى :

١ ـ المسالة الأولى فى الرد على من زعم ان المسيح ابن الله •
٢ ـ المســالة الثانية فى ابطال الاتحاد •
٣ ـ المســالة الثالثة فى ابطال دعوى القتــل •
٤ ـ المسالة الرابعــة فى ابطال دعــوى الثالوث •
٥ ـ المسالة الخامسة فى تناقض الانجيل •
٦ ـ المســالة السادسة فى اثبات نبوة المسيح عليه السلام •
٧ ـ المسالة الســابعة فى اثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ •

وسنتناول فى الصفحات التالية تحليل هــذه المســـائل بالترتيب الســـابق •

المســالة الأولى : اساس هذه المســالة هو قول النصارى ان « المسيح ابن الله » • ولابطال هذه الدعوى يبدأ المؤلف بتتبع المعــانى المكنة للفظ « البنوة » ، ثم يكر عليهم بابطال ما لا يصح منها • وهذا المنهج هو منهج الســبر والتقســيم ، فى اطــار المنهج التفســيرى العام الذى تكلمنا عنه •

يقول المؤلف ، موجها كلامه للنصارى : اما أن تعنوا بــ « الابن » جســد المسيح وجثمانه ، أو الكلمة التى تدرعته ، واتحدت به فى زعمكم ، او المجموع ، أو مجرد تسمية سماه الله بها ، تشريفا له ، واظهـــارا لمزيته ، فهذه اربعة اقســام ، لا يحتمل لفظ البنوة لها خامسا(١) • ثم يكر عليهم بعــد ذلك باظهار فســاد الاحتمالات الثلاثة الأولى عقــلا • ذلك انهم ان ارادوا المعنى الأول ، لزم منه « أن القديم ولد جسدا »(٢)

(١) الرد ، ورقة : ٤ ـ ٦
(٢) الرد ، ورقة ٦ (وجــه) •

وهو محال ٠ وان أرادوا الثانى ، فهو أيضا محال ، لأن الكلمة عندهم هى اقنوم العلم ، وهى صفة الأب ، واذا كان العلم صفة نفس له فكيف تتأخر عنه حتى يلدها ، وهو لم يسبقها فى الوجود ؟(٣) وان أرادوا المعنى الثالث ، فهو محال كذلك ، لأنه مركب من القسمين الأوليين وهما محالان(٤) ٠ وان أرادوا المعنى الرابع ، أى تشريف الله للمسيح بهذه التسمية ، فان المسيح يتساوى فى هذا التشريف مع سائر عباد الله الصالحين ، ففى التوراة التى يؤمن بها النصارى ، يقول الله لموسى : « اذهب الى فرعون ، وقل له : قال لك الرب : اسرائيل ابنى بكرى ، أرسله يعبدنى ، وان لم ترسل ابنى بكرى قتلت ابنك بكرك »(٥) ٠ وقال الله تعالى فى المزامير لداوود : « أنت ابنى وانا ولدتك ، سلنى أعطك »(٦) ٠ ثم يعقب المؤلف على هذا النقل بقوله : « فما نرى السيد المسيح الا منسوجا له على منوال من تقدمه »(٧) ٠

على أن المؤلف ، كمجادل ، لا يكتفى بذلك ، بل يسرد من عبارات الانجيل ما يناقض هذه التسمية فى رأيه ، عندما يصفه « متى » فى فاتحة انجيله بأنه « ابن داوود » ، وعندما يبشر الملك مريم بأنها ستلد ابنا ، وعندما كان المسيح نفسه ينهر تلاميذه اذا وصفوه بأنه « ابن الله » ٠ ثم يعقب على هذا كله بقوله : « فقد انقطعت بهم الحجة ، انفصمت عراهم ، وذهبت لفظة « البنوة » من أيديهم ٠ فان كان لولادة المسيح وبنوته وجه معقول ، أوجب عندهم أن جعلوه ربا ، وخصصوه بالعبادة ، سوى ما اقتضاه التقسيم فى صدر المسألة ، فليبدوه ، وأنى يجدون الى ذلك سبيلا »(٨) ٠

---

(٣) الرد ورقة ٦ (ظهر) ٠
(٤) الرد ، ورقة ٦ (ظهر) ، ٧ (وجه) ٠
(٥) سفر الخروج ، اصحاح ٤ ، عد : ٢٩
(٦) مزمور ٢ ، عد : ٧
(٧) الرد ، ورقة ٩ (ظهر) ٠
(٨) الرد ، ورقة ١٤ (ظهر) ، ١٥ (وجه) ٠

وواضح ان المؤلف هنـا يعتمد المنهج التفسـيرى الذى يفترض ، جدلا ، صحة الأناجيـل ثم يفسرها بالطريقة الواجبـة عقلا ، فى نظره ، مستخدما قاعدة السبر والتقسيم ، كما قلنـا .

* * *

المسـألة الثانية : يهاجم المؤلف تحت هذا العنوان ، عقيدة «الاتحاد» اى اتحـاد اللاهـوت بالناسـوت ، مسـتخدما لافحام النصـارى الوانا من الحجج ، اولها الاحتكام الى المشـاهدة والحس الظاهر ، وهما يدلان على ان المسـيح ـ طبقا لمـا يرويه من شـاهدوه ـ كان شـيئا واحدا ، لا شـيئين ، همـا : اللاهوت والناسـوت . وثانيها الاحتجاج بظاهر الأناجيـل فأقوال المسـيح فيـه دالة على انه انسـان من بنى آدم ، كقوله لليهود : « لم تريدون قتلى ، وانا انسـان من بنى آدم ، كلمتكم بالحق الذى سـمعته من الله » ، وقوله أيضـا : « للثعالب اجحار ، ولطير السـماء اوكار ، وابن الانسـان ليس له موضع يسند راسـه »(٩) .

وهاتان الحجتان نقليتان ، لكن المؤلف لا يكتفى بهما ، بل يؤيدهما بحجة عقليـة تقوم على السـبر والتقسـيم ، كما فعـل فى المسـألة السـابقة ، فيقول : « بعـد ذلك نقسم القول عليهم ، فنقول : لا يخلو ما ادعيتموه من اتحاد اللاهوت بالناسوت أن يراد باللاهوت الأب على تجرده ، أو الكلمة على تجردها ، أو كلاهما ، أو المحبة والموافقة باجابة الدعوة »(١٠) . ثم يتبع ذلك ببيان وجه الاستحالة فى كل قسـم اما بطلان ان يكون الاتحاد بامتزاج الذاتين حتى صارتا ذاتا واحـدة فلأنه لا مجانسة ولا اشتراك بينهما ، وأما بطـلان أن يكون الاتحـاد بالتـدرع(١١) فلأنه لا يخلو : اما ان يكون اللاهوت درعا للناسوت ، او بالعكس ، والأول محـال لأنه يستدعى ان يتشكل القديم بشـكل

---

(٩) الرد ، ورقة ١٥ (ظهر) ، ١٦ (وجه) .

(١٠) الرد ، ورقة ١٦ (وجه وظهر) .

(١١) اى ان كلمة الله قد اتخذت من جسد المسيح درعا لها وحلت فيـه .

الحوادث ، والثانى محال ايضا ، لأن ما قبل الحوادث فهو حادث . على أن الاتحاد لو كان قد حدث لاستلزم ان يكون المسيح الها عالما بالغيب ، وهذا ما يكذبه الانجيل ، فقد سئل عن يوم القيامة، وموعد حلوله ، فقال : « لا اعلم ذلك ، ولا يعلمها الملائكة الذين فى السموات ، ولا يعلم ذلك سوى الأب وحده »(١٢) . كذلك فلو كان الاتحاد اتحادا فى الصفات ، بأن تكون صفات المسيح متحدة بصفات الله ، فيكون له مثل علمه وقدرته ... الخ ، فهذا ايضا فاسد ، « لتعذر مفارقة الصفة لموصوفها ، ولما حكيناه من اقوال المسيح فى القيامة »(١٣) . ثم يسرد المؤلف عددا كبيرا من نصوص العهدين القديم والجديد ، يرى انها تؤكد وجهة نظره .

ومع ان المؤلف قد بالغ فى ايراد الحجج العقلية والنقلية ، فقد كان عليه أن يذكر دعوى كل فرقة من فرق النصارى فى الاتحاد ، لأن آراءهم فى ذلك ليست متشابهة ، بل ان تفرقهم الى ثلاث فرق انما حدث بسبب اختلافهم فى تصور كيفية الاتحاد . غير ان المؤلف سيذكر هذه الفرق ، ويحكى آراءهم فى الاتحاد ، عند حديثه عن ابطال دعوى القتل والصلب وهو الذى عقد له الفصل التالى .

* * *

المسألة الثالثة : فى هذه المسألة يتعرض المؤلف لابطال دعوى النصارى فى ان يكون المصلوب هو المسيح عليه السلام وهو فى هذا يستند الى الآية الكريمة : « **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما** »(١٤) . والمؤلف هنا يريد امران :

---

(١٢) انجيل مرقص ، اصحاح ١٣ ، عد : ٣٢ ، راجع الرد ، ورقة : ١٩ (وجه) .

(١٣) الرد ، ورقة ٢٠ (وجه) .

(١٤) النساء : ١٥٧ ، ١٥٨

١ ـ ابطال دعوى النصارى فى صلب المسيح ٠

٢ ـ اثبات دعوى المسلمين فى أن المصلوب غيره ٠

وسبيله الي ذلك الاستدلال العقلى والنقل من الأناجيل وهو يبدأ استدلاله العقلى باستعراض آراء فرق النصارى فى الاتحاد أو التجسد ثم يخلص من ذلك الى افتراض تصورين لا ثالث لهمـا فى الصلب ، وهما : وقوع هذا الصلب على اللاهوت وحده ، أو على الناسوت وحده ، أو عليهما معا وترتيب المحال على أى فرض منها ، لتكون النتيجة هى استحالة صلب المسيح ٠ ذلك أنه اذا افترض أن كلا من القتل والصلب قد وقعا على الناسوت وحده ، فان دعـوى « افتداء البشرية » يكـون باطلا ، لأن هذا الافتـداء لا يتصور الا بصلب اللاهوت ، الذى تجسـد فى المسـيح لهذا الغرض ، وهو ما لم يحدث ، واذا افترض أنهما كانا قد وقعا على اللاهوت وحده ، أو عليـه وعلى الناسـوت معه ، فان ذلك محال ٠ لاسـتحالة صلب الاله ، لأنه الموت عـدم والله قـديم ، « وما ثبت قدمه فقـد استحال عدمه »(١٥) ٠

أما دليله النقلى فهو متعدد الجوانب ، ويعتمد أولا ، على ابطال التواتر اللازم لثبوت الحادثة ، اذ يقول فى هـذا الصـدد : « لقد نطق كتابكم بأن اليهود خرجوا الى المسـيح ليلة الجمعة ٠٠٠ بالسـيوف والعصى والمصـابيح ، والمسيح اذ ذاك مع تلاميذه ٠٠٠٠٠٠٠ فقرعوا الباب ، فخرج اليهم المسيح ، فقال : من تريدون ؟ فقالوا : يسـوع ، وانكروا المسـيح فلم يعرفوه ، وفعلوا ذلك مرات ، فقال : أنا يسـوع ؛ فأخذوه وربطوه ، وهرب أصحابه ، فلم يتبعه الا بطرس من بعيـد ، وشـاب آخر ٠٠٠ وكان صباح تلك الليلة صلب المـأخوذ ، فلم يحضره أحـد من اتباع المسيح الا نسـوان يبكين ٠٠٠ فأما اليهود الذين شـاهدوا القتل والصلب فلم يبلغ عددهم عدد التواتر ٠٠٠ وكل من جاء بعدهم انما نقل عنهم وذلك لا يحصل به العلم »(١٦) ٠

---

(١٥) الرد ، ورقة ٢٧ (ظهر) ٠
(١٦) الرد ، ورقة ٢٨ (وجه وظهر وما بعدها) ٠

فأحد جوانب هـذه الحجة النقلية هو ـ كما رأينا ـ الاستدلال بنص الانجيل على عدم بلوغ من شـاهدوا واقعـة الصلب عدد التواتر الذى يؤمن معـه التواطؤ على الكذب . والجانب الآخر هو الاستدلال على أن المـأخوذ المصلوب ليس هو المسـيح ، بل هو شـخص غيره « يشبه المسـيح » . ودليله على ذلك هو انهم سـألوا عندما طرقوا الباب عن المسـيح ولو كانوا يعرفونه لمـا سـألوا ، وان المسـئول قال لهم : أنا المسـيح ، ليفتدى المسـيح بنفسـه ، بعـد أن تغير شكله فأصبح يشبه المسيح . ويؤكد المؤلف هـذا النص بنصوص أخرى انتقاها من الأناجيل نذكر منها هذا النص المـأخوذ من انجيل متى ، والذى فيـه يسـأل رئيس الكهنة المقبوض عليـه ويدور بينهما الحوار الآتى : « أما قلت لنـا ان كنت المسـيح ، ابن الله الحى ؟ فقال له : انت قلت »(١٧) . ويعقب المؤلف على هـذا الحوار بقوله : « ان المقبوض عليه قال : أنت قلت ، ولم يقل : أنا المسـيح »(١٨) . ثم يزيد هذه الحجة تأكيدا بنص آخر يدل على تحول شكل عيسى عليـه السـلام ورفعه الى السـماء ، كما ورد فى القرآن الكريم . يقول هذا النص : « صـعد يسـوع الى جبل الجليل ، ومعه بطرس ويعقوب ويوحنـا ، فبينما هو يصلى اذ تغير منظر وجهه وابيضت ثيابه ، فصـارت تلمع كالبرق . ونظروا موسى ابن عمران ، والياس ، قد ظهرا لهم وجاءت سـحابة فاظلتهم ، فأما الذين معـه ، فوقع عليهم النوم ، فناموا »(١٨) . فهذا النص فى نظر المؤلف « دليـل على رفع المسيح وحمايته من أعدائه اليهود خـذلهم الله تعالى »(١٩) ، وبذلك يكون قد تم له ما أراد .

* * *

المسـألة الرابعـة : يخصص المؤلف هذا الفصل « لابطال دعـوى الثالوث » . وهو لا يطيل الجدل حول هـذه المسألة ، اعتمادا منـه ـ على ما يبدو ـ على الحجج التى أوردها لابطال الاتحاد اذ هى فى

---

(١٧) انجيل متى ، اصحاح ٢٦ ، عد : ٦٣ ، ٦٤
(١٨) الرد ، ورقة ٣٠ (ظهر) .
(١٩) الرد ، ورقة ٣٠ (ظهر) .

الواقع تعتبر حججا على ابطال التثليث فى نفس الوقت ٠ غير أنه هنا يركز على امر واحد ، هو ان دعوى التثليث هى دعوى بلا دليل ٠ انها ـ فى رايه ـ ترتكز على حصر الاقانيم فى ثلاثة ، هى:اقنوم الوجود، واقنوم الحياة ، واقنوم العلم » ، وهذا الحصر تحكم لا سند له من العقل ، « اذ يقال لهم : ما دليلكم على حصر الأقانيم فى ثلاثة ؟ وبم تنكرون على من يرى انها اربعة ، فيصير التثليث تربيعا » ؟ (٢٠) ٠

ان النصارى لا يجيبون على هذا السؤال ، ولكن المؤلف يفترض ان لهم اجابات يذكرها ثم يتعقبهم فيها ، ليبطلها ٠

* * *

المسألة الخامسة : تحت هذا العنوان يحاول المؤلف « بيان تناقض الانجيل الذى بايدى النصارى يومنا هذا »(٢١) ٠ وهو هنا يقابل بين نصوص الأناجيل الأربعة المعروفة ، من اولها الى آخرها مظهرا ما بينها من تناقض ، اما فى الحوادث بان تذكرها بعض الاناجيل دون بعض او تذكرها جميع الأناجيل ، لكنها تختلف فيما بينها ، من حيث طريقة روايتها ، او من حيث الألفاظ التى رويت بها ٠ ويخلص من هذا كله الى الحكم بعدم الوثوق بها ، والتشكيك فى صحتها ، ومن ثم ، عدم الاعتماد عليها فى استنباط العقائد ٠ ولعل النص التالى يوضح وجهة نظر المؤلف ومنهجه فى بيان هذا التناقض : « قال يوحنا الانجيلى : ان يوحنا المعمدانى حين راى المسيح قال : هذا خروف الله الذى يحمل خطايا العالم ، وهو الذى قلت لكم انه يأتى بعدى ، وهو اقوى منى ، وأن بيده الرفس ، ينقى ببيدره جميع الحنطة ، ويجمعها الى اجرانها ويحرق الأتبان بالنار التى لا تطفأ »(٢٢) ، وخالفه متى ، فقال : « ان المعمدانى ارسل ، وهو فى السجن ، الى

---

(٢٠) الرد ، ورقة ٣٥ (ظهر) ٠

(٢١) الرد ، ورقة ٣٩ (وجه) ٠

(٢٢) انجيل يوحنا ، اصحاح ١ ، عد : ٢٩ ، الرد ، ورقة ٤٠ (ظهر) ٠

المسيح فقال : « انت الآتى أو ننتظر غيرك » ؟(٢٣) • ثم يعقب المؤلف على ذلك بقوله : « وذلك تناقض ظاهر ، لأن احدهما حكى عن المعمدانى أنه هو ولم يتردد ، وان الآخر حكى أنه شك فيــه ، ولم يعرفه حتى أرسل فســأله • واما مرقص فاغفل ذلك ولم يذكره • واذا اغفله فما يؤمن أن يكون قــد اغفل ما هو أهم منــه فكيفه يكون ذلك من الانجيل ولا يذكره ؟ وان لم يصــح عنــد مرقص فذلك طعن على من نقله »(٢٤) •

ذاك هو منهج المؤلف فى اســقاط الثقة عن الأناجيل ، عن طريق اظهار التعارض فيما بينها ، وقد بينا موقف كل من الفريقين فى مدى صحة النص المقدس •

* * *

المســألة السادســة : بعد ان هــدم المؤلف عقيــدة التثليث والهيــة المســيح ، حاول فى هــذا الفصل أن يبث أن عيسى عليــه الســلام نبى كبقية الأنبياء ، طبقا لمــا جاء فى القرآن الكريم : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسـل »(٢٥) • وخصوم المؤلف فى هذا الفصــل ليسوا النصارى فقــط بل هم واليهود ايضــا ، ذلك أنه اذا كان النصارى يدعون الهية المســيح ، فان اليهود يدعــون أنه مولود من سفاح ، ويرفضــون ما جاء به من معجزات ، زاعمين أنه لم يحيى ميتا قط ، وانما تواطأ مع نفر من أتباعه ، فتمارضوا ، ثم طلبوا منه أمام الجماهير أن يشــفيهم ، ففعل ، فقاموا معافين ، أو أنه كانت له دراية فائقة بالطب ، فاســتخدم درايته فى علاجهم من أمراضهم ، فخيل للناس أن ما كان يفعله هو ضرب من المعجزات »(٢٦) •

وقد رد المؤلف على ادعاءات اليهود هذه بأن عيسى قد نسبت اليه

---

(٢٣) انجيل متى ، اصحاح ١١ ، عد : ٣ ، الرد ، ورقة ٤٠ (ظهــر) •

(٢٤) الرد ، ورقة ٤١ (وجه) •

(٢٥) المــائدة : ٧٥

(٢٦) الرد ، ورقة ٤٨ (وجه وظهر) •

معجزات ، مثل ما نسبت المعجزات الى موسى ، فان رفضوا معجزات عيسى ، رفضنا معجزات موسى ، لأن طريق ثبوتها واحد ، وهو النقل عن القدامى . يقول المؤلف فى هذا الصدد : « واذا نحن اثبتنا معجزاته وآياته فكل ما ابدوه من القوادح فى طريق ثبوتها انعكس مثله عليهم فى اثبات نبوة موسى عليه السلام ، وكل سؤال انعكس على مورده فهو باطل من اصله »(٢٧) .

هذا هو موقف المؤلف بالنسبة لمن ينكر نبوة عيسى عليه السلام من اليهود . أما موقفه ازاء النصارى الذين يدعون الهيته فهو يقوم على اساس تحقيقه للمعجزات . بيد أن النصارى يستنتجون من تحقيقه لهذه المعجزات أنه اله . وهذا ما يسميه المسلمون بـ « مشترك الالزام » لأن المسلمين يستدلون بالمعجزات على رسالته بينما يستدل بها النصارى على الهيته ولكل وجهة هو موليها . ووجه استدلال المسلمين بالمعجزات التى حققها على نبوته انهم يقولون : لقد ادعى الأنبياء السابقون لعيسى عليه السلام النبوة ، واستدلوا على صدق دعواهم بالمعجزة ، وقد فعل عيسى ما فعلوه فهو نبى مثلهم .

لكن المؤلف يضيف الى هذا الدليل العام ادلة خاصة هى شهادته عليه السلام لنفسه بالنبوة ، وشهادة الحواريين وشهادة مواطنيه له بذلك ، من خلال نصوص الأناجيل نفسها ، الأمر الذى يستحيل معه ان يكون الها ، او على الأقل ، ان تدل الأناجيل التى بأيدى النصارى على الهيته .

والشهادات التى يوردها المؤلف من الأناجيل كثيرة وهى لا تترك مجالا للشك فى نبوته ، مما جعله يعقب على ايرادها وشرحها فى نهاية هذا الفصل بقوله : « وينبغى أن نسأل النصارى عن هذه الفصول التى تلونها عليهم فى انجيلهم ، فيقال لهم : احق ذلك أم باطل ؟ فان اعترفوا انها حق ، تركوا التنصر ، وان زعموا انها باطل ، كفروا

(٢٧) الرد ، ورقة ٤٨ (ظهر) وما بعدها .

بالانجيل ، وتركوا دين النصرانية ، فهم كيفما ارادوا ، فارقوا ما هم عليه لا محــالة »(٢٨) ٠

***

المسألة السابعة : لما كان غرض المجادلين المسلمين من جدلهم مع أهل الكتاب هو دعوتهم الى الدخول فى الاسلام ، فقد كان موقفهم ازاء النصارى ذا شقين : الأول هو محاولة البرهنة على انسانية عيسى عليه السلام كما أوضحنا ، والثانى هو اثبات رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، حتى يكون ذلك مدعاة لهم الى الدخول فى دين الله ، وهو الاسلام ٠ لذلك قلما نجد مجادلا اسلاميا يكتفى بنقده للنصرانية ، بل نجد غالبيتهم يفسحون فى نهاية نقدهم لها مكانا لاثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ٠

ولم يشذ عن هذه القاعدة مؤلفنا ، صالح بن الحسين الجعفرى ، فقد خصص المسألة السابعة من كتابه « لاثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ » ٠ غير أنه بالغ فى محاولته تلك مبالغة عظيمة ، اذ نراه قد اختصها بالجزء الأكبر من كتابه ٠ وهنا نتساءل : لماذا أطال النفس فى هذا الباب أكثر مما ينبغى ؟ وكمحاولة من جانبنا للرد على هذا التساؤل يمكننا ان نقول : لعل السبب فى مبالغته تلك يعود فى المقام الأول الى كثرة المطاعن التى وجهت الى صحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام من قبل النصارى ، ومن زنادقة المسلمين على حد سواء ولقد مر بنا ما وجهه يوحنا الدمشقى من طعن على الاسلام ، يتمثل فى ادعائه أن المسلمين فد قبلوا نبوة محمد دون دليل ، أى دون ان يأتى بمعجزة ٠ كذلك فقد ادعى بعضهم «أن النبوات لم تبشر بمجيئه» عليه الصلاة والسلام(٢٩) ٠ كذلك فقد رفض ابن الراوندى ــ وهو زنديق ــ

---

(٢٨) الرد ، ورقة ٥٩ (ظهر) ٠

(٢٩) راجع : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، الجزء الثالث ص ٢٥٨

نبوة محمد ومعجزاته(٣٠) . لذلك لم يكن غريبا ان نجد عددا كبيرا من العلماء المسلمين يؤلفون كتبا بأكملها بهدف واحد ، هو اثبات نبوة محمد ﷺ(٣١) ، وان نجد مؤلفنا يخصص له أكثر من نصف مؤلفه .

وقد بنى المؤلف استدلاله على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام « على ثلاثة أصول : احدها دعواه النبوة ، والثانى تحديه على ذلك بالخوارق الباهرة ، والثالث تنصيص الأنبياء المتقدمين عليه وعلى شريعته ، وبلده ، وأمته ، تارة باسمه واخرى بموضعه وبلده ، وتارة بأعلام دينه وشعائر شريعته » .

وقد برهن على الأصل الأول ، وعلى الأصل الثانى بمعجزات كثيرة ، يأتى على رأسها القرآن الكريم ، وانشقاق القمر ، ووقوف الشمس عن جريانها ، ونبع الماء من بين اصابعه ، وتكثير الطعام ، وشهادة الشجر والحجر له بالنبوة والرسالة ، وحنين الجذع ، وسعى الشجر بين يديه ، وتسبيح الحصى فى كفه ، ونطق الحيوان بين يديه وشهادته له ، واحياء الأموات ، ورد الجارحة والعضو الى حال صحتها ببركة لمسه ودعائه ، وانقلاب الأعيان ...... الخ(٣٢) .

وفضلا عما فى اسناد بعض هذه المعجزات اليه ﷺ من غرابة ، كاحياء الميت ونطق الحيوانات امامه ، فان المؤلف لا يكتفى بها ، بل يضيف اليها كثيرا من الكرامات التى يدعى وقوعها على يد صحابة الرسول وأتباعه(٣٣) ، لأن كرامة الأتباع ، هى فى نظر المؤلف

---

(٣٠) راجع : آدم ميتز (Adam Metz) : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، الجزء الثانى ، ص ٩٧ ، ٩٨

(٣١) نذكر من بين هذه الكتب كتاب : الفرق بين المعجزات والكرامات ... للباقلانى تحقيق ونشر ماك آرثى ، بيروت ١٩٦٥ ، وكتاب دلائل النبوة للباقلانى ايضا وقد نشره الأستاذ سيد صقر ، فى القاهرة عام ١٩٦٢ وذكر فى مقدمته له عددا كبيرا من الكتب التى الفت لهذا الغرض ، مرتبة ترتيبا تاريخيا .

(٣٢) راجع الرد ، أوراق ٦٣ ـ ٩٠ (وجه وظهر) .

(٣٣) راجع الرد ، أوراق ٩١ ، ٩٢ (وجه وظهر) .

معجزة للرسول ، اذ لولا تبعيتهم له لما جرت هذه الكرامات على أيديهم ٠

أما الأصل الثالث والأخير من اصول استدلاله على صحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام فهو يتمثل فى البشارات التى وردت فى كتب العهدين القديم والجديد ، والتى يعتبرها المؤلف اشارة الى مجىء الرسول ﷺ ٠ فمن البشارات التى استخرجها من العهد القديم ما ورد فى سفر التكوين : « أن الله تعالى قال لابراهيم : ان فى هذا العام يولد لك ولد اسمه اسحاق ٠ فقال ابراهيم : ليت اسماعيل هذا يحيا بين يديك ، يحمدك ، فقال الله تعالى : قد استجبت لك فى اسماعيل ، وانى أصيره الى أمة كبيرة وأعطيه شعبا جليلا »(٣٤) ٠ وقد علق المؤلف على هذا النص بقوله : « ولم يأت من صلب اسماعيل من بورك ويومن وعظم جدا جدا ، وصار الى أمة كبيرة وأعطى شعبا جليلا سوى رسول الله ﷺ »(٣٥) ٠

وربما تكون هذه البشارة دالة على مجىء محمد عليه الصلاة والسلام ، لكن المؤلف يورد بشارات أخرى ليس فيها دلالة على ذلك من قريب أو من بعيد ، نسوق منها النص التالى : « لترتاح البوادى وقراها ، ولتسر ارض قيدار فرحا ، ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ، ويدفعوا تسابيحه فى الجزائر »(٣٦) ٠ فهذا النص لا علاقة له بمحمد عليه الصلاة والسلام من قريب أو بعيد ، لكن المؤلف يعتبره بشارة بمقدمه عليه الصلاة والسلام فيقول : « ليت شعرى : لمن البوادى غير أمة محمد ﷺ ؟ ومن قيدار سوى ولد اسماعيل جد هذا النبى العربى ﷺ ؟ ومن سكان الجبال والكهوف سوى العرب »(٣٧) ؟

---

(٣٤) سفر التكوين ، اصحاح ١٧ ، عد : ١٥ ــ ٢٠

(٣٥) الرد ، ورقة ٩٥ (وجه وظهر) ٠

(٣٦) وجدت نصا مقاربا لهذا النص فى نبوة اشعياء ، اصحاح ٤٢ ، عد : ١١ ، ١٢

(٣٧) الرد ، ورقة ١٠٠ (وجه وظهر) ٠

وأكثر من هذا أنه يأتى ببشارات من العهد القديم فيها ذكر محمد بلفظه ، وهى بشـارات لم أعثر لها على أثر فيـه ، رغم مبالغتى فى البحث عنها ، من ذلك النص التالى : « وقال داوود فى مزمور آخر : ان ربنا عظيم محمود جـدا ، وفى قرية الهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا »(٣٨) . فهذا النص غير موجود فى المزامير فلعل المؤلف قـد تصرف فى احـد نصوصها واستبدل فيـه لفظا يدل على الحمـد باسـم محمد . ولو أن اسـم محمد كان موجودا فعـلا فى كتب اليهود لأخفوه ، او لأحدث ذلك ضجة بين علماء الغرب قبل العلماء العـرب .

اما ما اورده المؤلف من بشارات مأخوذة من الأناجيل ، فأهمها تلك التى جاء فيها ذكر « الفارقليط (Paraclet) وقد اختلف العلماء الغربيون حـول معنى هـذا اللفظ ، فبينما يقول رجال اللاهوت المسيحى ان معناها « السن نارية نزلت على حواريى المسـيح ورسـله فجعلتهم يتحدثون لغات متعددة لا يعرفونها ، كدليـل على صـدق رسالتهم »(٣٩) نجـد ان من عداهم يقول : ان معناها اللغوى هو احد مشتقات لفظ الحمد او الحماية كالحامد ، والحماد ، والمعزى ، والمخلص ، وهى كلها يمكن ان تدل على محمد عليه الصلاة والسلام نظرا لاتحاد اصل الاشتقاق ، فاسمه ﷺ مشتق من الحمد ايضـا .

ومن النصوص التى اوردها المؤلف مشتملة على هذا اللفظ ، النص الآتى : « قال المسيح : ان الفارقليط ، روح الحق الذى أرسله أبى ، هو يعلمكم كل شىء »(٤٠) . ويعلق المؤلف على هذا النص بقوله : « اختلف فى تفسير لفظة الفارقليط على أربعة اقوال : فقيل الحامد وقيل الحماد وقيل المعزى وقيل المخلص ، وتلك صفات محمد ﷺ ،

---

(٣٨) الرد ، ورقة ٩٩ (ظهر) .

(٣٩) راجـع : Diction naire Encyclopédique de la Bible. art « paraclet » .

(٤٠) انجيل يوحنا ، اصحاح ١٤ ، عـد : ٢٦

فهو الحامد والحماد ، والمعـــز لدين اللـــه ، والمخلص من دركات النيران »(٤١) ٠

وبايراد المؤلف لهذه البشارات يكون قد أوفى على الغاية التى من اجلها قام بتحرير هذا الكتاب ، وقد ختمه بتلك العبارة : « قال المسـيح عليه السـلام : من قبل ثمارهم تعرفونهم ، فهذه ثمار سيدنا ونبينا محمد عليـه أفضل الصـلاة والسـلام ، والتى صـارت أعلق به من الغرام ببنى عذرة ، والاقدام بابن أبى صفرة ، والأمر فى ذلك مستغن عن كثرة الاسـتدلال واوضح من ان يعلن أو يقال »(٤٢) ٠

***

● خاتمـــة :

اذا كانت كتب الرد على النصارى تبرز ضعف الأســاس المنطقى الذى قامت عليـه عقائد النصارى ، فان قيمتها لا تقف عند هذا الحد ، انها تلقى ضـوءا شـديدا على بعض أسـباب ظهور كثير من المبـــاحث الاســـلامية ٠ ذلك أن الاحتكاك بين أرباب الديانات والمتمثل فى شكل الردود ، والمطـــاعن المتبـادلة ، من شـأنه أن يستحث الهمم ويشحذ القرائح ، ويفتح بذلك آفاق البحث ، بما يضيف الكثير الى مباحث الدين وعلومه ٠ يقول ابن تيمية بحق ، فى بداية كتابه « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسـيح » : « ومن اعظم اسـباب ظهور الايمان والدين ، وبيان حقيقة انباء المرسـلين ، ظهور المعارضين لهم من أهـل الافك المبين ٠٠٠٠٠ وذلك أن الحق اذا جحد وعورض بالشبهات ، أقام الله تعالى له ـ مما يحق به الحق ويبطل به الباطل ـ من الآيـــات البينات ، ما يظهره من ادلة الحق ، وبراهينه الواضحة وفســـاد ما عرضــه من الحجج الداحضـــة ٠٠٠ » نعم ، فأرباب الدين يظلون خاملين طالمـا كانوا فى مأمن من الهجوم والطعن ، فاذا حدث هـذا فتح آفاق البحث فتنشـأ علوم لم تكن موجودة من قبل ، وتزيد مباحث الموجود منها ، وهكذا يتكون التراث الدينى ، بتشعب علومه ومباحثه ٠

***

---

(٤١) الرد ، ورقة ١٠٩ (ظهر) ٠

(٤٢) الرد ، ورقة ١١٤ (وجه وظهر) ٠

الرد على النصارى

لأبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري

المتوفى في القرن السابع الهجري

مســـائل هــذا الكتاب

١/٢

المسألة الأولى : فى الرد على من زعم أن المسيح ابن الله .

المســألة الثانية : فى ابطال الاتـحاد .

المســألة الثالثة : فى ابطال دعوى القتل .

المســألة الرابعة : فى ابطال دعوى الثالوث .

المســألة الخامسة : فى تناقض الانـجيل .

المســألة السادسة : فى اثبات نبوة المسيح عليه السلام .

المســألة السابعة : فى اثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

١/٣ الحمد لله مستحق الحمد واهله . وصلواته على سيدنا محمد الناطق بجزيل القول وسهله . قال العبد الفقير الى الله تعالى ، صالح ابن الحسين ، عفا الله عنه : وقفت على مسائل ذكر ان الفرنج بعثوا يمتحنون بها اهل الاسلام فنظرت فيها فاذا هى خالية من الفوائد الدينية عاطلة عن المنافع الدنيوية ، اقرب الأشياء شبها بخرافات النسوان

٣/ب وترهات الولدان كسؤالهم عن الماء : هل له لون ام طعم / ام لا ؟ وعن السحاب والمطر والثلج ما هو ؟ وعن الأحلام والمنامات : اى شىء تكون ؟ وعن الجنين : هل هو مخلوق من ماء الرجل ام من ماء المراة ام من ماءيهما ؟ وما السبب فى ان بعض الحيوانات كثيرة الأولاد دون بعض ؟ مما هو صفر عن الفائدة ، خلى عن الحكمة . وقد إجاب عن ذلك جماعة من ضعفاء طلبة العلم وصغار الفقهاء من اصحابنا .

وأنى يظفر غلف الألسن بفصيح الكلام ، وتدرك عمى القلوب

١/٤ دقيق الأحكام ؟ وما ابعد من الحكمة من زعم ان خالقه / تعالى انزل كلمته القديمة الأزلية من مجدها الرفيع الى حضيض الأرض ، فولجت فى بطن امرأة من بنى آدم ، وسكنت رحمها تسعة اشهر ، تغتذى بدم الطمث فى ظلمات الغم ، وتتالم بالم الأم ، ثم برزت من فرجها طفلا ، فالقته فى الأرض ، ولفته فى الخرق ، ثم أرضعته ثديها ، وأفرشته حجرها ، وتولت تأديبه وتعليمه ، حتى شب وترعرع ، وتشوق الى حركة الرجولية وتطلع ، واقام بين اظهر اليهود نيفا وثلاثين سنة ، يرمونه بالسحر والخنا ، ويقذفون أمه بالزنا . فلما

٤/ب قارب الاكتهال ، دعا الى عبادته / النسا والرجال فوثبت عليه شرذمة من اخساء اليهود ، فكذبوه ومزقوا ادمه ، واراقوا دمه ، واوسعوه سبا ، واوجعوه ضربا ، ثم قتلوه صلبا ، وصيروه بين اللصوص ثالثة الأثافى ، ثم أودع صدعا من الأرض فدفن بعد ان تصدق

عليه بالكفن ، وتفرق عنه احبابه ، واسلمه الى الأعداء اصحابه ٠ وصار فى صدر الأرض سرا مكتوما ، وعاد ذلك الاله العظيم عديما ٠

هذا اعتقاد النصارى فى الههم ومعبودهم ، وحكاية ذلك كافية فى الرد عليهم ٠ واعلم ان هذه دعوى ملفقة ، وعقيدة هامتها بسيوف ادلة / الاسلام مفلقة والدليل على فسادها المعقول والمنقول : ٥/أ

اما المعقول : فلأن الكلمة هى صفة العلم أو النطق عندهم ، وهى صفة نفس ٠ وصفات النفس لا تفارق الذات الموصوفة بها ٠ ولو فرضنا ذلك للزم منه حدوث الكلمة ، لاشتمال اقطار الأرض عليها ، والقديم يستحيل تحيزه ٠ ثم الحركة والانتقال ، والتفريغ والاشغال ، هى اول(١) حدوث العالم ، وفسد بذلك اثبات وجود الصانع تعالى ٠

واما المنقول فالتوراة والنبوات ، وهى الناموس الذى / ينقلها الاسرائيليون من لدن موسى الى زمن المسيح عليهما السلام ليس فيه شىء من هذا الهذيان ٠ وقد أوضحت ذلك وبينته فى كتاب « تخجيل من حرف الانجيل » فاستشهدت فيه بنبوات الأنبياء ، والصحف القدماء ، وانه لم يقل هذه المقالة الشوها ، احد من العقلا ٠ ونحن الآن نلقى عليهم مسائل من انجيلهم ونطالبهم بالجواب ٠ ٥/ب

مسألة فى الرد على من زعم ان المسيح عيسى ابن الله

زعم النصارى ان المسيح عيسى ابن الله وان الله أبوه ٠ / ونحن نقسم القول عليهم فنقول : لا يخلو ، اما ان تعنوا بالابن جسد المسيح وجثمانه ، او الكلمة التى تدرعته(٢) واتحدت به فى زعمكم ، او المجموع ، ابنا ، او مجرد تسمية سماه الله بها ، تشريفا له واظهارا لمزيته : فهذه اربعة اقسام لا يحتمل لفظ البنوة لها خامسا ٠ ٦/أ

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها « أدلة » ٠

(٢) « تدرعته » اى اتخذته درعا ، اى حلت فيه ٠

فان عنيتم الأول فهو محال ، اذ يلزم منه ان القديم جل جلاله ولد جسدا ، وانما يلد الجسد جسد مثله • ولو كان القديم جسما لوجب ان يكون ملفقا من جوهرين فصاعدا • وكل مؤلف فمفتقر بالضرورة الى مؤلف ، اذ يستحيل ان يؤلف / نفسه ، ويركب ذاته • فبطل أن يكون القديم جسما • وأيضا ، فان القديم عبارة عما لا أول لوجوده ، والحادث عبارة عن مستفتح الوجود ، وما ثبت لذات القديم لم يتبعض حكمه • فلو قلنا ان ذاته تعالى انفصل عنها بعض حادث لأخرجناها عن صفة نفسها بأمرين : بقبول التبعيض ، وانقلاب صفة النفس • ٦/ب

وان عنيتم الثانى فهو أيضا محال ، اذ الكلمة عندكم هى اقنوم العلم وهى صفة الأب فاذا كان العلم صفة نفس له فكيف تتأخر عنه حتى يلدها ، وهو لم يسبقها فى الوجود ، بل لم تزل / معه ازلا كاقنوم الحياة ؟ والعقل قاض بتقدم الوالد على ولده فى الوجود • فاذا قلتم بوجود الكلمة التى هى صفة العلم ، فيلزم منه جعل القديم محلا للحوادث • ٧/أ

ووجه آخر : وهو أن الفائدة بالاتحاد انما كان ليقع الفيض اللاهوتى القديم على الجسد الناسوتى الحادث ، فاذا قلتم بحدوث الكلمة لم يحصل المراد بالاتحاد • فاذا قلتم ان الكلمة قديمة فلا معنى لقولكم انها مولودة ، وصار تسمية القديم ابنا لغوا لا فائدة فيه • وليس الصفة بأن يسمى ابنا وليس الموصوف بأن يسمى ابا ، وهو غير سابق ، / بأولى من الصفة وهى غير متأخرة(٣) • واذا بطل ان يلد القديم صفته القديمة ، واستحال ان يلد من ليس بجسم جسما ، بطلت الولادة التى ترومونها • ٧/ب

وان عنيتم الثالث لزم من المحال ما يلزم من القسمين • اذ يلزم ان يلد القديم صفته وجسدا آخر حادثا • وكأنكم لم ترضوا الكلمة

---

(٣) اى أن كلا منهما يمكن أن يطلق عليه أنه « أب » أو « ابن » لاشتراكهما فى صفة القدم •

ابنا حتى اضفتم لها جسدا ناسوتيا . واذا لم تصلح الكلمة لوصف البنوة فالجسد أولى بعدم الصلاحية .

وان عنيتم الرابع ، وهو ان البنوة مجرد تسمية ، على معنى ان الله تعالى سمى المسيح ابنا ليظهر مزيته على من سواه ويكرمه / بهذا اللقب دون من عداه ، فنقول : ما دليلكم على صحة هذا النقل عن الله وعن رسوله المسيح عيسى ﷺ ؟ فان أسندوه الى الانجيل وقالوا : قد نطق بذلك السيد المسيح فى خاتمة انجيله ، حيث يقول : « أنى ذاهب الى ابى وأبيكم والهى والهكم »(٤) ، وقال فى الانجيل : « هذا ابنى الحبيب »(٥) قلنا : هب انا سلمنا لكم صحة هذا النقل عن السيد المسيح ، فبم تنكرون على من زعم أن الله ساواه فى هذا التلقيب بغيره من صالح عبيده ، والحقه بمن تقدمه من بنى اسرائيل ؟ فقد حكيتم أن الله تعالى قال فى التوراة لموسى / « اذهب الى فرعون وقل له : قال لك الرب : اسرائيل ابنى بكرى ، ارسله يعبدنى ، وإن لم ترسل ابنى بكرى قتلت ابنك بكرك »(٦) قالت التوراة : « فلما لم يرسل فرعون بنى اسرائيل كما قال الله قتل الله ابكار المصريين من بكر فرعون الجالس على السرير الى بكر الأتونى »(٧) والنصارى يقرون بهذا النص من التوراة ، ولا ينكرون منه حرفا . فقد زاد يعقوب(٨) على المسيح فى هذه التسمية بالبكارة . وقلتم : قال الله تعالى فى المزامير : « داوود ابنى حبيبى »(٩) وفى ذلك مساواة للمسيح ، حيث جاء فى الانجيل : « هذا ابنى الحبيب »(١٠) / وقلتم : قال الله تعالى فى نبوة اشعيا : « احفظونى فى بنى وبناتى » (١١) وقال ايضا : قال الله : « انى ربيت أولادا حتى

٨/أ

٨/ب

٩/أ

---

(٤) يوحنا : ح ٢٠ ، عد : ١٧ .
(٥) متى : ح ٣ ، عد : ١٧ .
(٦) سفر الخروج : ح ٤ ، عد : ٢٢ ، ٢٣
(٧) سفر الخروج : ح ١٢ ، عد : ٢٩
(٨) يعقوب هو اسرائيل الذى ينتسب اليه « بنو اسرائيل » .
(٩) راجع المزمور الثانى ، عد : ٧ .
(١٠) متى : ح ٣ ، عد : ١٧ .
(١١) لم اعثر على هذه الجملة بنصها فى نبوة أشعياء .

كبروا » (١٢) يعنى عبيده من بنى اسرائيل • فلو لم ترد هذه التسمية الا فى المسيح ، لكان للنصارى فيها موضع شبهة • فما نرى المسيح له مزية على من وردت فيه هذه التسمية • وقد قالت التوراة : « لما نظر بنو الله بنات الناس حسانا جدا نكحوا منهم ما احبوا ، فقال الله تعالى : لا تحل عنايتى على هذا الجيل ، ثم أغرقهم بالطوفان »(١٣)

٩/ب فقد سماهم بنيه فى التوراة على / زعمهم • وقال داوود فى المزامير لقومه : « انا قلت انكم آلهة ، وبنوا العلى كلكم تدعون »(١٤) • وقال الله تعالى فى المزامير لداوود : « انت ابنى وانا ولدتك ، سلنى اعطك »(١٥) • وهذه اقوال تؤمن بها النصارى وتعتقد صحتها • فان كان الأمر كما قالوا ، فما نرى السيد المسيح الا منسوجا له على منوال غيره ممن تقدمه • على اننا لا نسلم صحة هذا النقل عن السيد المسيح ولا عن انجيله الطاهر ، ويعارض ذلك بنقيضه فنقول :

١٠/أ الدليل على فساده وعدم صحته ما تضمنه الانجيل من اقوال/السيد المسيح واقوال تلاميذه الذين صحبوه وخدموه واخذوا عنه • فمن ذلك ما حكاه متى فى فاتحة انجيله ، فانه شهد أن المسيح ابن داوود ، فقال فى شهادته ، فى صدر كتابه : « هذا مولد يسوع المسيح ابن داوود »(١٦) فشهد متى ، وهو أول من دون الانجيل ، بأن المسيح ليس هو ابن الله ، ولكنه ابن داوود • ومن ذلك ما حكاه لوقا فى صدر انجيله وشهد فقال : « ان الله أرسل جبريل الى مريم ، أم المسيح ، وهى بالناصرة ، فسلم عليها فقال لها : ابشرى • »(١٧) فشهد لوقا بمثل ما شهد متى ان المسيح

١٠/ب ابن داوود وانك ستلدين ابنا / يدعى يسوع المسيح ، يجلسه الرب على كرسى أبيه داوود • ومن ذلك ما رواه مارى مرقس الانجيلى حيث يقول :

---

(١٢) اشعياء : ح ١ ، عد : ٢ •

(١٣) سفر التكوين : ح ٦ ، عد : ١ ــ ٣

(١٤) مزمور : ٨٢ ، عد : ٦ •

(١٥) مزمور : ٢ ، عد : ٧ •

(١٦) متى : ح ١ ، عد ١ •

(١٧) لوقا : ح ١ ، عد ٢٦ ــ ٢٨ •

خرج يسوع المسيح وتلاميذه الى البحر وتبعه جمع كثير فأبرأ اعلالهم ، وشفاهم ، فجعلوا يزدحمون عليه ويقولون : أنت ابن الله ؟ ، فكان ينهاهم »(١٨) . وقال لوقا : « كان كل من لـه مريض يأتى به الى يسوع فيضع يده عليه فيبرأ فيقول : انت ابن الله ، فكان ينهرهم ولا يدعهم ينطقون بهذا » (١٩) فهذا الانجيل يكذب من يدعى ذلك على السيد المسيح . واقوال تلاميذه وخيار / أصحابه تشهد بأنه ابن داوود ، وتأبى نسبته الى غيره . ١١/أ

فان كان النقلان فاسدين ، فلا بنوة ، وان كانا صحيحين ، وجب تأويل احد النقلين وصرفه عن ظاهره وحمله على معنى الاجتباء والاصطفاء ، والتشمير فى العبودية والخدمة .

فقوله تعالى فى الانجيل : « هذا ابنى » يريد هذا عبدى وحبيبى . والبنوة يتجوز بها عن العبودية والاجتهاد فى الخدمة ، والدليل على ذلك انها لم ترد فى كتبهم الا مقرونة بها غالبا . فان اطلقت فى بعض الروايات ، وجب حمل المطلق على المقيد .

وبيانه من التوراة / قوله تعالى : « يا موسى قل لفرعون : يقول لك الرب الاله : اسرائيل ابنى بكرى ، أرسله يعبدنى »(٢٠) . ففسر البنوة بالعبودية ، وبين أن اسرائيل عبد مطيع يتعبد لله . وأما المزامير ، قال الله فيها لداوود : « أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك ، سلنى اعطك »(٢١) . فنبه على العبودية بالمسئلة . وقال المسيح فى الانجيل : « انى ذاهب الى ابى وأبيكم والهى والهكم »(٢٢) ، فبين بذلك أنه عبد مألوه ، له اله يعبده ويذهب اليه . وقال بولس الرسول فى صدر / رسالته الخامسة الى ١١/ب ١٢/أ

---

(١٨) مرقص ، ح ٣ عد : ٧ ـ ١٢ .
(١٩) لوقا ، ح ٤ عد ٤١
(٢٠) سفر الخروج ، ح ٤ ، عد : ٢١
(٢١) مزمور ٢ ، عد : ٧ .
(٢٢) يوحنا ، ح ٢٠ ، عد : ١٧ .

اخوانه : « انى منذ سمعت ايمانكم لست أفتر من الدعاء لكم فى صلاتى أن يكون اله سيدى يسوع المسيح يعطيكم روح الحكمه والبيان ، وينـــور عيون قلوبكم »(٢٣) • فهذا بولس يشهد بعبودية المسيح • وقـــال المسيح فى الانجيل : « الهى الهى ، لم تركتنى » !(٢٤) • وقد شهد الانجيل بصومه ، وانه كان يصلى ويتعبد ، ويلزم وظائف التكليف ، وكـل ذلك دليل على غلط النصارى فيه عليـه السلام •

وبعد ـ يرحمك الله ـ فقد طالعنا الانجيل من أوله الى آخـــره ، وقلبناه ظهرا / لبطن وخبرناه حرفا حرفا فما راينا فيه مزية للمســيح على غيره من أصحابه ومتأخرى اتباعه فى هذه التسمية ، وتعرف ذلك مما اتلوه عليك منه •

١٢/ب

قال متى فى انجيله : « ان جباة الجزية أتوا بطرس فقـــالوا : ما بال معلمكم لا يؤدى الجزية ؟ فقال ذلك بطرس للمسيح • فقـــال المسيح : والبنون ايضا تؤدى الجزية • اذهب الى البحر ، والق الشص ، فأول حوت ترفعه افتح فاه وخذ منه ما تؤدى عنى وعنك »(٢٥) فهذا متى وبطرس يشهدان على المسيح بأنه هو وغيره فى هذه البنوة / سواء • وقال متى : قال المسيح : « احبوا اعداءكم ، وباركوا على لاعنيكم ، واحسنوا الى من ابغضكم ، وصلوا من يطردكم لكيما تكونوا ابناء المشرق شمسه على الأخيار والأشرار ، والممطر على الصديقين والظالمين »(٢٦) • وقال المسيح : « كونوا كاملين مثل أبيكم ، فهو كامل ، ولا تضيعوا بركـم قدام النـــاس لكى تراؤونهم ، فيحبط اجركم عنـــد أبيكم الـــذى فى السموات »(٢٧) وقال المسيح : « اذا صليت فادخل الى مخدعك ، واغلق بابك ، وصل لأبيك سرا ، وأبوك يرى السر فيجزيك / علانية »(٢٨) •

١٣/أ

١٣/ب

(٢٣) رسالة بولس الى أهل افسس ، ح ١ ، عد : ١٥ ـ ١٧ •
(٢٤) متى ، ح ٢٧ ، عد : ٤٦ •
(٢٥) متى ، ح ١٧ ، عد : ٢٤ ـ ٢٧ •
(٢٦) متى ، ح ٥ ، عد : ٤٤ ـ ٤٧ ، متى ، ح ٦ ، عد : ١
(٢٧) متى ، ح ٦ ، عد : ٦ ـ ٨ •
(٢٨) متى ، ح ٦ ، عد : ٩ •

وقال المسيح : « اذا صليتم فقولوا : يا أبانا الذى فى السموات : قدوس اسمك ، الى آخر السورة » • وقد شهد بولس فصيح النصارى وخطيبهم ، وهو الذى يسمونه بولس الرسول ، بأن بنى آدم عن آخرهم أبناء الله ، الصالحين منهم والطالحين ، فقال فى الرسالة الخامسة من رسائله : « أياكم والسفه والسب واللعن ، فان الزانى والزانية والنجس والغاشم كعابد الوثن لا نصيب له فى ملكوت الله • احذروا هذه الشرور ، فمن اجلها يأتى رجز الله على الأبناء الذين لا يطيعونه فاياكم أن تكونوا / شركاء 14/أ لهم ، فقد كنتم فى ظلمة فاتبعوا الآن سعى ابناء النور »(٢٩) •

فهذه اقوال المسيح واقوال اتباعه وصلحاء أصحابه وحملة شريعته مصرحة باطلاق لفظ البنوة على عباد الله وخلقه • وقال يوحنا الانجيلى فى الفصل الثانى من الرسالة الأولى : « انظروا الى محبة الأب لنا كيف اعطانا ان ندعى له أبناء »(٣٠) • وقال فى الفصل الثالث منها : « أيها الأحبار ، الآن صرنا أبناء الله ، فقد تبنن بنا ، فينبغى لنا أن ننزله من الاجلال على ما يليق به »(٣١) / فهذا يوحنا الانجيلى يذكر أن البنوة 14/ب عبارة عن العبودية وبذل الجهد فى الخدمة والعبادة ، وقال يوحنا فى الفصل الثالث من الرسالة الأولى : « ان كل من ولد من الله فلن يعمل خطيئة ، فان زرعه ثابت فيه ، فلن يستطيع ان يخطىء ، لأنه مولود من الله ، وبهذا يتبين ابناء الله من أبناء الشيطان »(٣٢) • وهذا فى الانجيل وفى كلام التلاميذ من أصحاب المسيح واتباعه أكثر من أن يحاط به • فهل بقى بعد ذلك للمسيح عليه السلام اختصاص بهذه البنوة دون من عداه •

وقال بولس فى رسالته / الى ملك الروم : « ان الروح يشهد لنا 15/أ

---

(٢٩) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثيس ، ح ٦ ، عد : ١٠ – ١٢ •

(٣٠) رسالة يوحنا الأولى ، ح ٣ ، عد : ١ •

(٣١) رسالة يوحنا الأولى ، ح ٣ ، عد : ١ •

(٣٢) رسالة يوحنا الأولى ، ح ٣ ، عد : ٣ – ١٠ •

انا ابناء الله ، فاذا كنا ابنـــاءه فنحن ورثته »(٣٣) . وقال ايضا : « ان البرية كلها تترجى ظهور ابناء الله »(٣٤) .

وقال بولس فى رسالته الثانية : « ان الله تعالى يقول : انى أحل فيهم وأسعى معهم وهم يكونون لى بمنزلة البنين والبنات »(٣٥) . فهل عبد النصارى اسرائيل لكونه ابنا بكرا ، أو داوود لكونه ابنا حبيبا ، او بعض من ذكرنا منهم لكونهم بنين وبنات ، فقد انقطعت بهم الحجة وانفصمت عراهم ، وذهبت لفظة البنوة من ايديهم . فان كان لولادة المسيح / وبنوته وجه معقول اوجب عندهم أن جعلوه ربا ، وخصصوه بالعبادة ، ســوى ما اقتضاه التقســيم فى صــدر المسالة ، فليبدونه ، وانى يجدون الى ذلك سبيلا ، والله سبحانه اعلم .

١٥/ب

* * *

---

(٣٣) رسالة بولس الى اهل روما ، ح ٨ ، عد : ١٦ ، ١٧

(٣٤) رسالة بولس الى اهل روما ، ح ٨ ، عد : ١٩

(٣٥) رسالة بولس الثانية الى اهل كورنثيس ح ٦ ، عد : ١٦

المسـألة الثانية : فى ابطال الاتحـاد

زعم النصارى ان ربهم عبارة عن لاهوت وناسوت ، اتحدا فصارا مسيحا . وكثيرا ما يقولون : اتحد اللاهوت بالناسوت ، ويعبرون عن ذلك بالتانس والتجسد . ونحن قبل الخوض معهم ، نطالبهم بصحة هـذه الدعوى ، فنقول : / ما ادعيتم فى اتحـاد اللاهوت بالناسوت ١٦/أ اذلك شىء شاهدتموه بالعيان ، او رآه اوائلكم وسلفكم ، حتى ساغ لكم اعتقاده ؟ ام تنقلون ذلك عن المسيح ؟ فان زعموا أن ذلك شىء شاهده اوائلهم فقد تحامقوا واكذبهم عقلاؤهم . وان عزوا ذلك الى قول المسيح اكذبهم انجيله ، بما تضمنه من اقواله الدالة على انه انسان من بنى آدم ، كقوله لليهود فى الانجيل : « لم تريدون قتلى ؟ وانا انسان من بنى آدم . كلمتكم بالحق الذى سـمعته من الله »(١) . وقال ايضا : « للثعالب اجحار ، ولطير السـماء اوكار / وابن الانسـان ليس له موضع يسـند ١٦/ب راسـه »(٢) . فاخبر انه انسـان . وذلك تكذيب لمن يقول انه انسـان واله . وقال المسيح : « انى ذاهب الى الهى والهكم »(٣) . وقال ايضا : « لم تركتنى »(٤) . فاعرب عن نفسه انه انسان ، وله اله ورب يرجوه ويدعوه . وقال المسيح ، وقد قال له رجل : يا معلم صالح ، فقال له : « لم تدعوننى صالحا ؟ لا صالح الا الله الواحد »(٥) . وهـذا كما ترون تكذيب لمن زعم انه اله اتحد بانسان . وقد صرح الانجيل من فاتحته الى خاتمته بأن المسيح جاع وشبع ، وفرح وجزع ، وسال ودعا / وركب ١٧/أ الحمار وسعى ، وناله النفع ، واعترضته عوارض البشر . فبطل ما ادعوه من نقل ذلك عن السـيد المسيح .

---

(١) يوحنا ، ح ٨ ، عد : ٣٩ ، ٤٠
(٢) متى ، ح ٨ ، عد : ٢٠
(٣) يوحنا ، ح ٢٠ ، عد : ١٧
(٤) مرقص ، ح ١٥ ، عد : ٣٤
(٥) مرقص ، ح ١٠ ، عد : ١٨

ونحن ، بعد ذلك نقسم القول عليهم فنقول : لا يخلو ما ادعيتموه من اتحاد اللاهوت بالناسوت أن يراد باللاهوت الأب على تجرده ، أو الكلمة على تجردها ، او كلاهما ، أو المحبة والموافقة باجابة الدعوة وانالة الطلب ، كقول القائل لمن أحبه : أنا وأنت واحد . فهذه أربعة

١٧/ب لا يعقل لها خامس . /

اما الأول فباطل لأنه ان أريد بالاتحاد الامتزاج بالذاتين حتى صارتا ذاتا واحدة ، فهو محال ، اذ لا مجانسة ولا اشتراك . ولئن كان من المستحيل اتحاد جسم النار بجسم الماء مع الاشتراك فى الجسمية ، فلأن يستحيل اتحاد ما ليس بجسم مع جسم ، مع نفى الاشتراك ، أولى . وان أريد بالاتحاد التدرع ، فلا يخلو : اما أن يدعوا ان اللاهوت صار درعا للناسوت ، او ان يدعوا ان الناسوت صار درعا للاهوت ، والأول باطل / لأن صيرورة القديم درعا يستدعى تجويفا وتشكلا بشكل الجسم اللابس له ، وما تشكل بشكل الحوادث فهو حادث .

١٨/أ

والثانى باطل ، لأن ما قبل الحادث(٦) ، فهو حادث . واذا بطل القسمان ، وجب ان يكون مستحيلا(٧) .

وقد شهد مفسرهم وعالمهم ، بولس الرسول ، أن الحلول والاتحاد الجارى على لسان متقدميهم ليس على ما يتخيله المتأخرون منهم ، وان المراد به الاحاطة بالعلم والاشراف على القلوب ، والمراقبة على الخواطر ، فقال : / فى رسالته الثانية الى اخوانه : « أو لستم تعلمون وتوقنون ان يسوع المسيح حال فيكم ، ولئن لم يكن فيكم انكم لمرذولون ، وانا ارجو أن تكونوا غير مرذولين »(٨) .

١٨/ب

فهذا الكلام من بولس ، لو حمل على ظاهره ، لزم منه محال ، فيتعين حمله على ما قلناه . ولئن كان من المستحيل اتحاد جسد المسيح

---

(٦) أى من التشكل والتجوف وغيرهما على فرض الناسوت قديما . والعبارة ركيكة .

(٧) أى وجب أن يكون الاتحاد مستحيلا .

(٨) رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثيس ، ح ١٣ ، عد : ٥

بجسد انسان آخر ، فاتحاد القديم ، جل جلاله ، أو اتحاد صفته بجسد المسيح اولى فى الاستحالة . وكيف تصح هـذه الدعوى ، والانجيل يشهد بأن المسيح سئل عن يوم القيامة / فقال : « لا اعلم ذلك ، ولا يعلمها الملائكة الذين فى السموات ، ولا يعلم ذلك سوى الأب وحده »(٩) . ولما طلب منه احياء العاذر جاء مع أخته مريم الى الجبانة ، فقال : « أرونى أين دفنتموه » ؟(١٠) . وساله رجل ان يشفى ابنه من جنونه فقال : « منذ كم علقه هـذا الجنى ؟ فقال الأب : منذ صباه »(١١) . وجاع المسيح عليه السلام فقصد شجرة تين هو واصحابه ليصيبوا منهـا ما يسـد مخمصتهم ، فلم يجدوا فيها شـيئا »(١٢) . وقال المسـيح : « لا اعمل بمشيئتى بل بمشيئة من ارسلنى »(١٣) . وقال : « يا الله : اصرف عنى هذا الكاس ، لكن / ليس كما اريد ، بل كما تريد أنت »(١٤) . كل ذلك نصوص الانجيل ، فلو كان الاتحاد صحيحا ، كما يزعمون ، لم تقع المغايرة بين مشيئته ومشيئة الله ، وبين علمه وعلمه ، وارادته وارادته ، وهـذا أوضح .

١٩/أ

١٩/ب

وان عنوا الاتحاد من بعض الوجوه ، فقد ناقضوا دعوى الاتحاد ، لأن حقيقة صيرورة اكثر من الواحد واحدا محال . ولهذا يقول مشايخهم : ان الاتحاد اصار اكثره قلة(١٥) وجعل الاثنين واحدا . ثم ذلك الوجه المدعى ان كان اتحادا بالذات فهو فاسد ، لما قدمناه من عدم التجانس بين القديم / والحادث ، وان كان بالصفة فهو فاسد أيضا ، لتعذر مفارقة الصفة لموصوفها ، ولما حكيناه من اقوال المسيح عليه السلام فى القيامة ، وقصة العاذر والجنى وغيرهما .

٢٠/أ

---

(٩) مرقص ، ح ١٣ ، عد : ٣٢
(١٠) يوحنا ، ح ١١ ، عد : ٢٥
(١١) مرقص ، ح ٩ ، عد : ٢١
(١٢) متى ، ح ٢١ ، عد : ١٨
(١٣) يوحنا ، ح ٥ ، عد : ٣٠
(١٤) متى ، ح ٢٦ ، عد : ٣٩
(١٥) « صار اكثره قلة » : عبارة غامضة ، يدل السياق بعدها على ان المراد منها اصار المجموع وهو اثنين المعبر عنه بقوله « اكثره » ، بعد الاتحاد ، واحدا ، وهو المعبر عنه بقوله « قلة » .

وبعد ـ يرحمك الله ـ فلو ان كل من أيده الله بطلبته ، وأكرمه باجابة دعوته ، سمى متحدا به لما بقى للمسيح مزية على غيره ، لما نتلوه عليك من كتب القوم · وقد ايد الله جماعة من صفوته وخواص عبيده بآيات بينات وخوارق العادات اربوا فيها على السيد المسيح ·

٢٠/ب ولنقصر على نبذة / يسيرة من ذلك ، فقد طولنا النفس فى كتابنا المقدم ذكره ·

لم يدع المسيح عليه السلام آية ولا معجزة الا وحكينا من كتبهم عن شىء من الأنبياء مثلها واعجب منها · اما احياء الميت بدعوة المسيح عليه السلام ، فقد احيا الياس ابن اسرائيلية ، واحيا اليسع ميتين ، الواحد فى حال حياته والآخر بعد موته · وروى عن سفر الملوك من كتبهم ان قوما حملوا ميتا وذهبوا به الى المقابر ، فراوا عدوا ، فطرحوا الجنازة عن رقابهم وابتدروا المدينة ، فقام الميت يتبعهم حتى لحقهم

٢١/أ حيا / فنظروا فاذا هم قد طرحوه على قبر اليسع »(١٦) · وقد روى ان حزقيال احيا آلافا من بنى اسرائيل كان بختنصر قد قتلهم ولهم من يوم قتلوا مائة وستون سنة·»(١٧) ، وذلك اعجب من احياء العاذر وابن الأرملة وابن الرئيس(١٨) · وأما فتح عينى الأكمه وتسويتهما طينا وغسلهما بالماء ، فخلق عينين باصرتين بخشبة من الخشب اغرب من رد الصحة الى جارحة متهيئة قابلة لذلك · وقد شهدت التوراة أن

٢١/ب موسى عليه السلام / كان يقلب عصاه حية ذات عينين تبصر بهما وتقصد ما أرادت ، وتتوجه الى حيث شاءت »(١٩) · « وقد ضرب الرمل بعصاه فانثال قملا حتى ملأ ارض مصر ، لكل واحدة عينان »(٢٠) · ثم عصاه هذه كانت اعجوبة من العجايب كيف ارادها ، فبينما هى

---

(١٦) سفر الملوك الثانى ، ح ١٣ ، عد : ٢١

(١٧) راجع نبوة حزقيال ، ح ٢٧ ، عد : ١ ـ ١٤

(١٨) عبارة غامضة ، ولعل صوابها : « وذلك اعجب من احياء عيسى لثلاثة نفر هم : العاذر ، وابن الأرملة ، وابن الرئيس » ·

(١٩) راجع سفر الخروج ، ح ٤ ، عد : ٣ ، ح ٧ ، عد : ٩

(٢٠) سفر الخروج ، ح ٨ ، عد : ١٢

خشبة اذ حولها حية وبينما هى حية اذ صيرها شجرة مثمرة طارحة جوزا ، ذات اغصان وافنان ، وبينما هى كذلك اذ اعادها الى حالها الأول »(٢١) . ثم انه يستدعى بها الجراد والقمل والضفادع ، وينزل بها الثلوج ، ويجرى / المياه ويشق البحر ، وينبع المـاء من الصخر ، فتنفذ فى كل الأعمال اتم نفوذ ، وذلك يربى على آيات المسيح ﷺ . وقد فتح يوسف عينى ابيه يعقوب ، كما شهدت بذلك التوراة(٢٢) . واما تطهير الأبرص ، فقد حكوا فى سفر الملوك : « أن رجلا تبرص ، فقصد اليسع عليه السـلام ليبرئه من علته ، فاستاذن عليه فلم يأذن له ، وقال لبعض اصحابه : قولوا له يذهب إلى نهر الأردن فينغمس فيه فيبرأ . فذهب ، ففعل فبرىء من برصه ، فرجع الى بلاده ، فاتبعه غلام اليسع / واوهمه ان اليسع ارسـله يطلب مالا ، ففرح الرجل واعطاه مالا نفيسا ، ثم جوهرا ثمينا ، فاخفاه وادخره لنفسه ، ثم عاد فقال له النبى عليه السـلام : مضيت الى الرجل واوهمته عنى كيت وكيت ، واخذت منه كذا وكذا من المـال واخفيته فى موضع كذا وكذا ، وفعلت ذلك ؟ فليصر برصه عليك وعلى نسلك . وبرص الرجل مكانه(٢٣) وذلك اعجب من فعل المسيح . ابرأ الرجل وبرص الرجل ونسله(٢٤) . وقد شهدت التوراة ان اخت موسى تغيرت على اخيها موسى ونفست عليه / فبرصت فرق عليها ودعا لها فعوفيت(٢٥) وذلك ابدع ، لأنه أمرض وعافى . واما مشيه على المـاء ، فقد مشى الياس واليسع على صفحة نهر الأردن(٢٦) . وكذلك يوشـع مشى على البحر بتابوت الشـهادة(٢٧) . واما تحويل المـاء خمرا ، كما حكاه يوحنا فى انجيله ، فقد حكوا لنا عن نبى من

٢٢/أ

٢٢/ب

٢٣/أ

---

(٢١) سفر العدد ، ح ١٧ ، عد : ٢٣ ، ٢٤

(٢٢) لم اعثر على ما يدل على هذه الحادثة فى كتب العهد القديم .

(٢٣) سفر الملوك الثانى ، ح ٥ ، عد : ١٠ – ٢٧

(٢٤) « ابرأ الرجل وبرص الرجل ونسله » جملة توضيحيـة تبين ما فعله اليسع مع الرجلين .

(٢٥) سفر العدد ، ح ١٢ ، عد : ١٠ وما بعدها .

(٢٦) سفر الملوك الثانى ، ح ٢ ، عد : ٨

(٢٧) راجع يوشع ، ح ٣ ، عد : ١٦ ، ١٧

انبيائهم أنه نزل بامرأة من بنى اسرائيل فاكرمته واضافته ، فقال حين اراد الانصراف : ألك حاجة ؟ فقالت : يانبى الله ان على زوجى دينا

٢٣/ب قد / قرحه ، فان رايت أن تدعوا الله لنا ؟ فقال لها : استعيرى الساعة من جيرانك ما قدرت عليه من الاوانى واحضرى لى ما عندك من ذلك ، ففعلت ، فامرها أن تملأ الجميع ماء ، ثم اتركيه ليلتك ، ففعلت ، فأصبحت فوجدت ذلك كله زيتا فباعوه وقضوا دينهم » وقد شهد بذلك سفر الملوك من كتبهم(٢٨) . وأما تكثير الطعام ، فقد حكى الانجيل ان المسيح عليه السلام اطعم خمسة آلاف من خمس خبزات وحوتين

٢٤/أ وفضلت كسر كثيرة ملأوا منها / اثنى عشر زنبيلا(٢٩) . وقد زادت آية موسى على ذلك زيادة عظيمة اذ شهدت التوراة « أنه أطعم ستمائة الف من بنى اسرائيل منا وسلوى »(٣٠) ، وذلك أعجب من آية الانجيل . « وقد نزل الياس النبى بامراة أرملة فى زمان قحط فأحضرت كفا من دقيق ، فبارك فيه ، فأقام عندها ستة أشهر تأكل منه هى وأهلها وجيرانها حتى فرج الله عن الناس »(٣١) .

ولنقتصر على هذا القدر لأنا قد استوعبنا فى كتابنا الملقب بتخجيل

٢٤/ب من حرف الانجيل ، ولم ندع من آيات / السيد المسيح آية الا ذكرناها للأنبياء وأعجب منها . واذا بطلت الأقسام الأربعة فى الاتحاد بما قدمناه فلا معنى للاتحاد . وقد أوضحت تناقض الفرق الثلاثة الملكية والنسطورية واليعاقبة فى الاتحاد ، وبالغت عليهم فى الرد فى الكتاب المذكور .

* * *

---

(٢٨) سفر الملوك الثانى ، ح ٤ ، عد : ١ ـ ٧
(٢٩) متى ، ح ١٤ ، عد : ١٩ ـ ٢١
(٣٠) سفر الخروج ، ح ١٦ ، عد : ٣٢ ـ ٣٦ ، سفر العدد ، ح ١١ ، عد : ١٨ ـ ٢٣
(٣١) سفر الملوك الأول ، ح ١٧ ، عد : ٧ ـ ١٦

المسـألة الثالثة : فى ابطال دعوى القتل والصلب

ولنقدم عليه مقدمة فنقول : اختلف النصارى فى المسيح ، وتباينت اعتقـاداتهم فيه • ولا يمكن حصر اقوال فرقهم فى الاتحـاد / ولكن المشـهور منهم ثلاث فرق ، وهم : الملكية ، والنسطورية ، واليعقوبية • ٢٥/أ

فمذهب الملكية ، وهم الروم ، أن المسيح ، بعد الاتحاد ، جوهران ، واقنوم واحد ، وله طبيعتان ، لاهوتية وناسوتية • فله باللاهوتية مشيئة كمشيئة الأب ، وله بطبيعة ناسوته مشيئة كمشيئة ابراهيم وداوود ، ولكنه اقنـوم واحد • وردوا الاتحاد الى القنومية ، اذ رأوه بالنسـبة الى الجوهرية قبيحا •

ومذهب النسطورية / ، وهم نصارى المشرق الذين اخذوا الأمانة عن مارى السليح وعن توما ، ساعدوا نسطورس على مقالته ، فنسبوا الله [قوله](١) : ان المسيح بعد الاتحاد جوهران واقنومان باقيـان على طباعهما كما كانا قبل الاتحـاد ، غير ان لهما مشيئة واحـدة ، يفعل بها فعل الاله وفعل الانسان • وردوا الاتحاد الى خاص البنوة ، اذ رأوه بالنسـبة الى الجوهرية والقنومية محالا • ٢٥/ب

ومذهب اليعقـوبية ، المنسـوبة الى يعقوب السروجى ، وقيـل البرادعى ، وهو الذى اخذ المقالة عن / فورلس صاحب الاسكندرية ، أن المسيح صيره الاتحاد طبيعة واحدة واقنوما واحدا • فالمسيح عندهم بعد الاتحاد اله كله وانسان كله ، وله طبيعة واحدة يفعل بها ما يشبه فعل الاله وما يشبه فعل الانسان ، وهو اقنوم واحد ، (فرقوا) بالاتحاد من كل وجه(٢) • ٢٦/أ

فعلى تقـدير صحة مقالتى الروم واليعاقبة ، يمتنع قتل المسيح ،

---

(١) « قوله » كلمة ليسـت موجـودة فى الأصـل ، اضفناهـا لتوضيح المعنى •

(٢) قوله « فرقوا » لعل صوابها : « فقالوا » ليلتئم السياق •

فان أبوا الا القول بقتله ، فيقال لهم : أليس تركب من جوهر اللاهوت وجوهر الناسوت اقنوم شخص واحد ؟ فاذا قالوا نعم ، ولا بد لهم منه ،

٢٦/ب قيل لهم : فالافتراق بالمشيئة لا يصير مع الاتحاد / فى القنومية(٣) . واذا قلتم ان الذاتين أصارهما الاتحاد اقنوما واحدا ، شخصا واحدا ، لم يمكنكم ادعاء قتله بعد . وقد كان الجوهر اللاهوتى ، قبل اتحاده بالناسوت مقدسا عن ان تناله الأيدى ، فكيف انحط عن غيره لاهوتيته وسمو جبروتيته بمشابكة الناسوت ؟(٤) وليس الناسوت فى حط اللاهوت، حتى قتل وصلب ، بأولى من اللاهوت فى رفع الناسوت حتى نجا وسلم . واذا تحقق المسيح اقنوما واحدا مركبا من طبيعتين ، لاهوتية وناسوتية ، فمحال أن يقال انه قتل ولم يقتل ، وصلب ولم يصلب .

٢٧/أ فامتنع ، والحالة / هذه ، على رأى اليعاقبة ، قتله ، أولى بالمنع(٥) ، اذ قالوا ان طبيعة اللاهوت والناسوت صارتا طبيعة واحدة ، واقنوما واحدا ، وما كان كذلك فلا سبيل الى عدمه .

واما النسطورية ، فانهم تفطنوا الى استحالة الجمع بين دعوى الاتحاد والقتل ، فردوا الاتحاد الى خاص البنوة فقط ، غير انهم وافقوا أصحابهم فى عبادة المسيح ، واعتقاد ربوبيته ، وذلك أيضا مانع من

٢٧/ب اعتقاد قتله ، اذ أن ما ثبت قدمه استحال عدمه(٦) . وهذا أوردناه / جدلا ، وفيه ابطال مذهبهم بمقتضى مذهبهم .

وطريق التحقيق أن نقول : ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه ، اتنقلونه تواترا أو آحادا ؟ فان ادعوه بطريق الآحاد لم تقم به الحجة ، اذ لم يفد العلم الضرورى ، اذ لا يؤمن على الآحاد السهو والغلط واعتماد

---

(٣) لأن المسيح كانت له تصرفات انسانية تصدر عنه بمشيئة ناسوتية انسانية لا الهية .

(٤) عبارة ركيكة . ولعله يريد أن يقول : فكيف انحطت لاهوتيته عن مقامها بمشابكة الناسوت .

(٥) « أولى بالمنع » : كذا فى الأصل ، وهى عبارة غامضة .

(٦) « اذ أن ما ثبت قدمه استحال عدمه » ذكرنا هذه العبار بدلا من قوله فى الأصل : « واذا ما ثبت قدمه استحال عدمه » ليستقيم السياق .

الكذب • وان ادعوه بطريق التواتر فيشترط استواء الطرفين والواسطة فى الكثرة المعتبرة ، وذلك ان ينتهى عـدد الناقلين الى غاية يستحيل معها التواطؤ والسهو والغلط ، وذلك ان يقول الجم الغفير عن الجم الغفير الى أن تنتهى الأخبار / الى من شاهد المخبر عنه • فمتى اختل ذلك او بعضه فليس بتواتر • ٢٨/أ

فان زعم النصارى ان خبر قتل المسـيح وصلبه من هـذا القبيل حاكمناهم الى الانجيل الذى بايديهم ، وقلنا لهم : قد نطق كتابكم بأن اليهود خرجوا الى المسيح ليلة الجمعة ، لثلاث عشرة خلت من شـهر نيسان ، بالسيوف والعصى والمصابيح والمسيح اذ ذاك مع تلاميذه بوادى الأرهن ، فقرعوا البـاب ، فخرج اليهم المسـيح فقال : من تريدون ؟ فقالوا : يسوع ، وانكروا / المسيح فلم يعرفوه ، وفعلوا ذلك مرات ، ٢٨/ب فقال : انا يسوع • فأخذوه وربطوه ، وهرب أصحابه فلم يتبعه الا بطرس من بعيد وشـاب آخر عليه ازار ، فتعلقوا بالثياب ، فترك لهم الازار وهرب عريانا • فأما بطرس فدخل الدار وجعل يصطلى بالنار مع الجند ، فعرفته جارية ، فقالت : انت صاحب يسوع ، فانكر ، فجاءت اخرى فقالت مثل مقالة الأولى ، فانكر بطرس ، وحلف انه لم يعرفه ، وخادعهم حتى افلت من ايديهم • وكان صـباح تلك الليـلة صلب المـأخوذ فلم يحضره / احد من اتباع المسيح الا نسوان يبكين ، فقال لهن المصلوب ٢٩/أ لا تبكين على ، وابكين على أنفسـكن وأولادكن • ليأتين عليكن زمان تقولون : طوبى للعواقر اللاتى لم يلدن • فأما اليهود الذين شاهدوا القتل والصلب فلم يبلغ عددهم عدد التواتر ، اذ لم يحضر من اتباع المسيح احد سوى نسوة ضعاف ، واليهود لم يحضر منهم سوى شرذمة قليـلة(٧) فلا تواتر • وكل من جاء بعـدهم انما نقل عنهم ، وذلك لا يحصـل به العلم • واذا أبطلنا عليهم خبر التواتر الموجب / للعلم ٢٩/ب

---

(٧) يوحنا ، ح ١٨ ، عد : ٣ ـ ١٨ ، لوقا ، ح ٢٣ ، عد : ٢٧ ـ ٢٩

فلنردف ذلك بظواهر من الانجيل ، تخرم الثقة بصلب المسيح وقتله ، وتحيل ذلك الى غيره ٠

الحجة الأولى : لا شك ان المسيح نشأ بين اظهرهم نيفا وثلاثين سنة ، يبهر اليهود بالحجج والدلائل ، ويخرسهم بالكلمات الجوامع فى المجامع ٠ فيعرفونه صغيرا وكبيرا ، ويتحققونه جليلا وخطيرا ، فما الذى الجاهم الى ان استأجروا رجلا من تلاميذه الاثنى عشر بأجرة حتى عرفهم بصورته لولا وقع الشبه ؟

٣٠/أ الحجة الثانية / على ان المقتول المصلوب غير المسيح : ان متى حكى فى انجيله ، فى الاصحاح الخامس والستين : « ان رئيس الكهنة اقسم بالله الحى على المأخوذ : أما قلت لنا ان كنت المسيح ابن الله الحى ؟ فقال له : انت قلت »(٨) ، ولم يقل المسيح : انا ٠ وحكى لوقا فى انجيله قريبا من هذا اللفظ(٩) ٠ وذلك من ادل الدلالة على ان المأخوذ ليس هو السيد المسيح ٠ ولو كان هو المسيح نفسه لم يوار فى الجواب ، ويستعمل الحيدة عن اجابة الكاهن ٠ وكيف يكون المسيح ٣٠/ب ويقسم عليه بالله تعالى : أين المسيح ؟ فلا / يقول له : انا المسيح ٠

الحجة الثالثة : قال لوقا فى انجيله : : « صعد يسوع الى جبل الجليل ، ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا ، فبينما هو يصلى اذ تغير منظر وجهه ، وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق ونظروا موسى بن عمران والياس قد ظهرا لهم ، وجاءت سحابة فأظلتهم ٠ فاما الذين كانوا معه فوقع عليهم النوم فناموا »(١٠) ٠ وهذا الفصل الذى نقله لوقا دليل ٣١/أ على رفع المسيح وحمايته من اعدائه اليهود ، خذلهم الله تعالى / ٠

الحجة الرابعة على حماية الله نبيه المسيح ، قول الانجيل « الذى اخذ كانت قد غيرت هيئته ، وشوهت صورته وسيق ذليلا ، وتوج من الشوك اكليلا ، والبس ارجوانا ، وابلس هوانا ، وجذب وسحب ، وضرب

---

(٨) متى ، ح ٢٦ ، عد : ٦٣ ، ٦٤
(٩) لوقا ، ح ٢٢ ، عد : ٦٧ ، ٦٨
(١٠) لوقا ، ح ٩ ، عد : ٢٨ ـ ٣١

ونزعت اثوابه وسلب ، وحمل خشبته التى عليها صلب ، واعنف به الى من سجنه فركب وما ركب »(١١)٠وقد شهد لوقا فى صدر انجيله أن جبريل بشر مريم والدة المسيح بأن الله يجلس ولدها على كرسى داوود/ويملكه على بيت يعقوب الى الأبد »(١٢) ٠ وقول جبريل حق ، وخبر الله صدق ٠ فلو قلنا ان المهان المصلوب هو المسيح للزم بطلان تلك البشارة الصادقة ٠ ٣١/ب

الحجة الخامسة : حكى يوحنا التلميذ فى انجيله : « أن الذين قبضوا على المأخوذ من بستان بوادى الأردن ، خرج اليهم فقال : من تريدون ؟ فقالوا : يسوع ٠ وقد خفى شخصه عنهم ، فجعلوا يكثرون السؤال ، وهو يعيد الجواب »(١٣) ، وذلك دليل التشبيه ، اذ أنكروا وجهه وهو الناشىء بين اظهرهم ، / والمربى بين جماعتهم ٠ ٣٢/أ

الحجة السادسة : قال لوقا فى انجيله : « صحب المسيح رجلين من اورشليم يطلبان قرية يقال لها عمايوس ، بعد قيامه ٠ فتبعهما وماشاهما ، وكانت عيونهما ممسوكة عن معرفته ٠ فلما كلمهما عرفاه »(١٤) ٠ وذلك دليل على تغير الحال ٠ وكيف يتغير حاله على رفقته فى الطريق وعلى تلاميذه فى الجليل لولا وقوع الشبه ؟ وقال لوقا « بينا التلاميذ فى غرفة لهم اذ وقف المسيح / فى وسطهم فلم يعرفوه ، والتمس منهم شيئا يأكله فأطعموه شيئا من حوت وشيئا من شهد العسل »(١٥) ٠ واذا خفى شخصه عن تلاميذه فكيف عرفه اليهود حتى قتلوه ؟ ٣٢/ب

الحجة السابعة : قال يوحنا « وقف المسيح على تلاميذه وهم يصيدون السمك ، فقال : يا فتيان ، هل عندكم من طعام ؟ فلم يعرفوه ، وقالوا : لا ٠ فقال : القوا الشبكة من الجانب الأيمن ، ففعلوا ، فكانت تخترق من السمك ، وحينئذ عرفوه »(١٦) ٠ وذلك فى الانجيل كثير / ٠ ٣٣/أ

الحجة الثامنة : قال لوقا « دخل جبريل على مريم بالناصرة وبشرها

---

(١١) راجع متى ، ج ٧ ، عد : ٢٧ ـ ٣١
(١٢) لوقا ، ح ١ ، عد : ٢١ ، ٢٢
(١٣) يوحنا ، ح ١٨ ، عد : ٤ ـ ٨
(١٤) لوقا ، ح ٢٤ ، عد : ١٣ ـ ٣٢
(١٥) لوقا ، ح ٢٤ ، عد : ٣٦ ـ ٤٢
(١٦) يوحنا ، ح ٢١ ، عد : ١ ـ ٨

بأن ولدها المسيح يكون ملكا لبنى اسرائيل ، ويجلس على كرسى أبيه داوود »(١٧) . فكيف يزعم النصارى أنه الخلف هذا الوعد ، وكـذب جبريل فى خبره ، ولم ينجز فيه حرف واحد ، بل جرى نقيضه ، فاخـذ واشجر وأخرج منه وظفر على راسه اكليل من الشوك والبس لباسا احمر ، وجعل فى يده قصبة وحملوا صليبه على ظهره ، وجثوا على الركب يهزأون به ، فكيف يصح / هـذا النقل والله تعالى يخبر على لسـان جبريل انه يكون فى ارفع الدرجات . هيهات هيهات كذب من ادعى قتل المسيح ، وغلط غلطا لا خفاء به .

٣٣/ب

وقد جاء فى قصـة القتل والصلب ما يوجب رده ، ويقتضى ابطاله ، ويخرم الثقة به ، وهو ان اليهود جاءوا الى المسيح فسألوه ان يريهم آية فقال : الجيل الشرير الفاسق يسأل آية ، ولا يعطى الا آية يونان النبى ، لأن يونان كمـا اقام فى بطن الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليالى / كذلك ابن الانسان يقيم فى بطن الأرض وقلبها ثلاثة ايام وثلاث ليالى »(١٨) ، فاخبر ان ابن الانسان يدفن فى الأرض ، فيقيم فى بطنها وقلبها هـذه المدة . وقد نظرنا فى الانجيل ، فوجدنا هـذا الخبر كذبا غير صحيح ، وهو ان جماعة من مدونى الانجيل قالوا ان المـأخوذ صلب يوم الجمعة ، ودفن ليلة السبت ، والتمس فى قبره ليلة الأحد فلم يوجد . وقيل صلب يوم الأحد بغلس فلم يوجد . فاذا كان هـذا نص الانجيل ، فلم يقم فى بطن الأرض وقلبها الا يوما واحدا وليلة او ليلتين ، / وذلك مما يخـرم الثقة بصحة الصلب والقتل جملة (كافية)(١٩) .

٣٤/أ

٣٤/ب

فهذه نصوص الأناجيل مصرحة بحماية الله نبيه المسيح من كيد اعاديه ، ووقوع الشبه على رجل شغلهم الله به عنه ، ﷺ ، وعلى اخوانه من النبيين . فليتدبرها من وقف على هـذه المسائل ، ويدع عنه التقليد واتباع الأباطيل بغير دليل ، والله الموفق .

* * *

---

(١٧) لوقا ، ح ١ ، عد ٢١ ، ٢٢

(١٨) مرقص ، ح ٩ ، عد : ٣١

(١٩) « كافية » كلمة مثبتة فى الأصل ، والسياق واضح بدونها .

المســألة الرابعة : فى ابطال دعوى الثالوث

فنقول : زعم النصارى ان معبودهم عبارة عن ثلاثة اقانيم ، وهى اقنوم الوجود / واقنوم الحياة واقنوم العلم ٠ واول ما يفاتحون به ان يقال لهم : ما دليلكم على حصر الأقانيم فى ثلاثة ؟ وبهم تنكرون على من يرى أنها أربعة ، ويزيد اقنوم القدرة ، فيصير الثليث تربيعا ؟ فــان قالوا لا حاجة فى ذلك ، اذ فى اقنوم العلم مندوحة عنه ، فنقول : لا نسـلم لكم صحة ذلك ، فمن اين يلزم من حصول العلم حصول القدرة ٠ ولو استلزم اقنوم العلم اقنوم القدرة لاسـتلزم اقنوم الحياة اقنوم العلم ٠ فقــد يكون الواحد منــا عالمــا ولا يكون قادرا ٠ وحد / العلم الكشف ، وحد القدرة الاختراع والايجاد ٠ فلا يلــزم من معرفــة الشئ ايجاده ، كما لا يلزم من الحى أن يكون عالمــا ، فكذلك لا يلزم من العالم ان يكون قادرا ٠

١/٣٥

٣٥/ب

وكمــا يســتلزم فقدان العــلم وجــود ضــده وهو الجهــل ، فكذلك فقــدان القــدرة وجود ضـدها وهو العجز ٠ وقــد اوجـد الله تعالى العــالم بعــد ان لم يكن ، وذلك اثر القــدرة ، لا اثر العــلم ٠ وقــد كان العــلم حاصــلا له تعالى قبــل الايجــاد ، فقــد وجب وصــفه تعالى بالقدرة لما قررناه ، فاذن / وجب وصفــه بالارادة ، اذ حــظ القدرة الاختراع ، وحظ الارادة التخصص بالمقادير والأشـكال والأزمان والأحوال ٠ واذا ثبت وصفه تعالى بالقــدرة والارادة لمــا قررناه ، بطل القول بالتثليث ، وتعين وصفه تعالى بانه واحــد حى عالم قادر مريد سميع بصير متكلم ٠ وبهذه الصفات الدالة على ابطــال الثالوث نطقت كتب القوم ، فهى موجودة فى التوراة والانجيــل والمزامير ، على التفاريق(١) ، يعرف ذلك / من طالع كتبهم ووقف على صحفهم ٠ ونحن نقسم القول عليهم فنقول :

١/٣٦

٣٦/ب

---

(١) « على التفاريق » أى متفرقة فى تلك الكتب ٠

هل تثبتون الالهية لكل واحـد من الأقانيم الثلاثة ام تزعمون أن الجميع اله واحـد أم تقولون أن الاله واحـد منهم والباقى صفات له ؟ فان أرادوا الأول ، قلنا : اتثبتون كل واحـد من التثليث الها حقيقة أو مجازا ؟ فان ادعوه حقيقة ، قلنا لهم : اتجوزون خلو الاله الحقيقى عن الحياة والعلم أم لا ؟ فان قالوا نعم : قلنـا : / فلا حاجة الى الأقانيم ، اذ الاله مسـتغن عنها . فان قالوا : لا بد للاله أن يكون حيا عالمـا . قلنا : فيجب وصف كل واحـد من الأقانيم بالحياة . وحينئذ يصير التثليث تسبيعا ، اذ حياة كل واحد من الأقانيم وعلمه قنومان له . ثم كل واحد من الأقانيم التسـعة ان كان الها مجازا لم يصلح للالهية ، وان كان الها حقيقيـا وجب أن يكون حيـا عالمـا ، وتسلسـل الى غير نهاية . فهذا خلاف ما عليـه أهل الكتاب قاطبـة . وفيـه خروج عن التوراة والانجيل / والمزامير والنبوات وسائر كتب الله ومراغمـة القول(٢) لقول المسيح فى الانجيل حيث سـئل : « ما أول الوصـايا كلها ؟ فقال : أول الوصـايا كلها : اسـمع يا اسرائيل ، الرب الهنـا واحـد »(٣) . وسـئل عن يوم القيامة فقال : لا يعلمها الا اللـه الواحـد »(٤) . وقال : « انى ذاهب الى الهى والهكم »(٥) . فشـهد فى كل انجيله بأن الله تعالى واحـد . وان قالوا : بل الاله الحقيقى واحـد »(٣) . وسـئل عن يوم القيامة فقال : « لا يعلمها الا اللـه يعبدون / مع الاله الحقيـقى من ليس باله حقيـقى . وان أرادوا الثانى ، وهو أن الجميع اله واحـد ، وأن كل واحـد على انفراده [ليس باله](٦) ، تركوا القول بالتثليث أيضـا ، وخالفوا الأمانة ،

١/٣٧ — ٣٧/ب — ١/٣٨

---

(٢) « ومراغمة القول لقول المسيح » أى : مناقضة قولهم لقول المسـيح .

(٣) لوقا ، ح ١٢ ، عد : ٢٨ ، ٢٩

(٤) متى ، ح ٢٤ ، عد : ٣٦

(٥) يوحنا ، ح ٢٠ ، عد : ١٧

(٦) « ليس باله » جملة غير موجودة فى الأصل ، اضفناها ليتضح المعنى ، ولعلها كانت موجودة فى الأصل ولكنها سقطت سـهوا من الناسـخ .

حيث يقولون فيها : ان الأب اله واحـد وان الابن اله واحـد وان روح القدس اله واحـد ، وأفسـد صـلاتهم ، حيث يقرأون فيها : المـلائكة يمجدونك ، وابنك نظيرك فى الابتداء ، وروح القدس مسـاويك فى الكرامة ٠ وان ارادوا الثالث / وهو أن الاله واحـد منها والزائد عليـه ٣٨/ب صـفات له ابطلوا الثالوث أيضـا ووافقوا المسـلمين فى أن الاله تعالى واحـد ، وله صـفات من العلم والقدرة والارادة والحيـاة والسـمع والبصر والكلام ، وأن شـيئا من الصفات ليس باله ، وانما الاله ذات موصـوفة بهذه الصفات ، وفسـدت عليهم الأمانة ، حيث جعلت الأب الها والابن الها ثانيا وروح القدس الها ثالثا ، فقـد بطل الثالوث على كل قسـم من الأقسـام ٠

* * *

٣٩/أ المسالة الخامسة : فى بيان تناقض الانجيل / الذى بايدى النصـــارى يومنا هــذا

اعلم ان الكتاب الذى بايدى النصـارى قد اشـتمل على تناقض عجيب وتعارض ظاهر وتكاذب لا يخفى على متأمل • وقـد ذكرت فى كتابى الملقب « بتخجيل من حرف الانجيل » من ذلك جملة كثيرة • وانا اقتصرنا ههنا على لمعـة تدل من تاملها على تخليط القوم فيما نقلوه وفسـاد ما اعتقدوه من ذلك وتعقلوه • ولو صرح بذلك لخرم ٣٩/ب الوثوق بجملة الكتاب الذى بايدى القوم اليوم / •

فمن ذلك ان لوقا حكى فى صدر انجليه « ان جبريل حين بشر مريم أم المسيح به فقـال لها : انك سـتلدين مولودا يجلسـه الرب على كرسى داوود ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكـون لملكـه انقضـاء »(١) • واكذبه اصحابه من نقلة الانجيل ، فقالوا ان هـذا الموعود من الله على لسـان جبريل اخـذه اليهود واهانوه وضربوه ثم قتلوه شر قتلة وصـلبوه ، ولم يملك على اليهود ، ولا جلس على كرسى داوود ، وذلك تكاذب قبيح •

٤٠/أ موضع آخر فى التناقض / والفساد : حكوا ان يوحنا المعمدانى(٢) • احـد نقلة الانجيل ، قال : « قال المسـيح : انى لو كنت انا الشـاهد لنفسى لكانت شهادتى باطلة ، ولكن غيرى يشـهد لى انه ارسلنى »(٣) • وقـد قالت توراتكم « ان شـهادة رجلين صحيحة »(٤) • فانظر هداك اللـه ، ما افسـد هـذا الكلام واقربه من كلام المجانين والمغفلين • وذلك

---

(١) لوقا ، ح ١ ، عد : ٢٦ ـ ٣١

(٢) كذا فى الأصل ، ولعلها « الزبدانى » لأنه احـد نقلة الانجيل اما يوحنا المعمدانى ، فهو يحيى عليه السـلام وليس من نقلة الانجيل ، بل قتل قبل أن يعلن عيسى عليه السـلام رسـالته •

(٣) يوحنا ، ح ٥ ، عد ٣٢ ـ ٣٦

(٤) سفر التثنية ، ح ١٩ عد : ١٥

انهم جعلوا الله تعالى رجلا وجعلوا شـهادة المسـيح لنفسه تقوم مقام شهادة شـاهد ، بعـد قوله : لو كنت انا الشـاهد لنفسى لكانت شـهادتى باطلة » • والتوراة تقول ان شـهادة رجلين صحيحة • واذا كان السيد / ٤٠/ب المسيح وحواريوه منزهين عن فاسـد الكلام فلنلزم به جانبـا ، ولنعلم انه ليس من الانجيل بسبيل •

موضع آخر ، قال يوحنـا الانجيلى : « ان يوحنا المعمدانى ، حين راى المسـيح قال : هذا خروف الله الذى يحمـل خطايا العـالم ، وهو الذى قلت لكم انه ياتى بعـدى وهـو اقوى منى وان بيـده الرفش ينقى ببيدره جميع الحنطة ويجمعها الى اهرائها(٥) ، ويحرق الأتبان بالنار التى لا تطفا »(٦) • وخالفه متى فقال : « ان المعمدانى أرسـل وهـو فى السـجن الى المسـيح فقال : أنت الآتى أو ننتظر غيرك »(٧) • وذلك / تناقض ظاهر ، لأن أحدهما حكى عن المعمدانى انه هو ولم ٤١/أ يتردد وأن الآخر حكى انه شـك فيـه ولم يعرفه حتى أرسـل فسـاله • وأما مرقس فاغفل ذلك ولم يذكره • واذا أغفله فما يؤمن ان يكون قد اغفل ما هو أهم منه ؟ فكيف يكون ذلك من الانجيل ولا يذكره ؟ وان لم يصح عنـد مرقس فذلك طعن على من نقله •

موضـع آخر : ذكروا عن متى « أن المسـيح صلب وصلب معـه لصـان ، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ، وانهما كانا يهزآن بالمسـيح مع اليهود ويسـخران / منـه »(٨) • وذكر لوقا خلاف ذلك ٤١/ب فقـال : « ان احد اللصين كان يهزا بالمسـيح ويسخر منه مع اليهود والآخر يقول له : اما نحن فجوزينا بعـدل وأما هـذا الصديق فلم يعمل قبيحا • ثم قال للمسـيح : اذكرنى يا سـيدى فى الملكوت • فقال

---

(٥) « ينقى ببيدره ••• اهرائها » : فى الأصل : « بيقى يبدره بجميع الحنطة الى اهرائها » ولعله خطأ من الناسـخ •

(٦) يوحنا ، ح ١ ، عد ٢٩

(٧) متى ، ح ١١ ، عد ٣

(٨) متى ، ح ٢٧ ، عد ٣٨ ــ ٤٤

المسـيح : حقا انك تكون معى فى الفردوس »(٩) • وذلك تكذيب لقول متى : ان أحـد اللصين كان كافرا يهزأ بالمسيح ، وذلك تكاذب قبيح •

٤٢/أ موضع آخر : ذكر لوقا « ان المسـيح قال : انى لم آت لأهلك /نفوس الناس ولكن لأحيى »(١٠) وخالفه الآخر فقال : « قال المسيح : انى لم آت لالقى على الأرض سـلامة ما جئت عليها لألقى سـلامة لكن سـيفا ، واضرم بها نارا »(١١) • وذلك تناقض عظيم • نحن والحمد لله ننزه المسـيح عن هـذا القول المضطرب ، ونؤرك(١٢) على من نقل ذلك من المتأخرين •

وحاصـــل هـذا الكلام أن احـدى الروايتين تجعله جـاء رحمة للعالمين ، والأخرى تقول : كلا ، ولكن نقمة على الخلائق أجمعين •

٤٢/ب موضع آخر : / ذكر متى « ان مريم خادمـة المسـيح جاءت لزيارة قبره عشـية السبت ومعها امراة اخرى فرأت ملكا نزل من السـماء فقال لهـا : لا تخافى ، اعرف انك جئت تبحثين عن عيسى المصلوب ، انه ليس ههنا(١٣) ، قـد قام من بين الأموات ، وهو يسبقكم الى الجليل ، فمضتا مسرعتين واذا المسـيح قـد ظهر لهما وقال : لا بأس عليكما ، اذهبا وقولا لاخوتى يسـبقونى الى الجليـل »(١٤) • وخالفه يوحنا فقال : « انما جاءت مريم وحدها يوم الأحـد بغلس ، فرأت الحجر قد قلع من فم القبر ، فرجعت الى شمعون الصـفا وتلميذ آخر فقالت :

٤٣/أ ان المسـيح قد أخـذ من تلك / المقبرة ، ولا ادرى أين دفن • فجاء شمعون وصاحبه فابصرا الأكفان موضـــوعة ناحيـة من القبر فرجعـا

---

(٩) لوقا ، ح ٢٣ ، عد ٣٢ ، ٣٩ ـ ٤٤
(١٠) راجع يوحنا ، ح ١٠ ، عد ١٠ ، ٢٨
(١١) متى ، ح ١٠ ، عد ٣٤
(١٢) « ونؤرك » كذا فى الأصل ولعل معناها : نسخر منهم ، أى ممن نقل ذلك منهم •
(١٣) « لا تخافى •••••• ههنا » : فى الأصل : « لا تخافى فليس فيها ههنا » ولعله خطأ من الناسـخ •
(١٤) متى ، ح ٢٨ ، عد ١ ـ ١١

وجلست مريم تبكى عند القبر • فبينا هى كذلك اطلعت فى القبر فرأت ملكين جالسين حيث كان جسد يسوع ، عليهما ثياب بيض فقالا لها : ما يبكيك ؟ فقالت : اخذوا سيدى ولا ادرى اين وضعوه • فبينا هى كذلك التفتت فرأت المسيح ولم تعرفه وحسبته حارس البستان ، فقالت له : بالله ان كنت اخذته فقل لى اين وضعته حتى اذهب اليه • فناداها : يا مريم ، فعرفته ، وقالت له بالعبرانية : ربونى / تفسيره : يا معلم • فقال لها : انى لم اصعد بعد • اذهبى الى اخوتى وقولى : انى منطلق الى ابى وابيكم والهى والهكم ، وذهبت وبشرت بذلك تلاميذه »(١٥) •   ٤٣/ب

قال المؤلف : هذا نقل يكذب بعضه بعضا • وذلك ان احدهما يقول ان الملك هو الذى ارسل مريم الى التلاميذ ، والآخر يقول ان المسيح هو الذى ارسلها • واحدهما يقول ان مريم جاءت الى القبر عشية السبت والآخر يقول : لا ، بل يوم الاحد باكرا • واحدهما يحكى / عن مريم وحدها والآخر يحكى عن اخرى معها • وهذا الفصل حرى ان يسطر فى اخبار المغفلين والعجائز المثكلين • وبعد يرحمك الله متى سمع العقلاء برب يصفع ويضرب ويقتل ويصلب ويدفن فى المقابر فيبكى عليه ويندب وتعتريه نقائص الانسان ويشتبه على من رآه بحارس بستان ؟ فلو ان اليهود نصبوا جماعة من المجان للسخرية بدين النصارى والازراء بهم ما بلغوا منهم ما بلغوا من انفسهم ، وهذا كما قيل :   ٤٤/أ

ما يبلغ الأعداء من جاهل   ما بلغ الجاهل من نفسه /   ٤٤/ب

وفى موضع آخر من انجيله : « ان الكلمة صارت جسدا وحل فينا »(١٦) ، ويلزم من ذلك ان يكون المقتول المصلوب هو الله تعالى الله عن كفرهم علوا كبيرا •

---

(١٥) يوحنا ، ح ٢٠ ، عد ١ – ٨
(١٦) يوحنا ، ح ١ ، عد ١٤

موضع آخر يقرب من الجنون : رووا عن يوحنــا الانجيلى : « أن المسـيح أخـذ خبزا فكسر واعطى تلاميذه وقال : هذا لحم جسـدى فكلوه ، ثم اخـذ كاسـا وقال : هــذا دمى فاشربوه ، لأن جسـدى ماكل حــق ودمى مشرب حــق ، ومن ياكل لحمى ويشرب دمى يثبت فى واثبت فيــه . فلما سـمع / التلاميذ هذا الكلام قالوا : ما اصعبه ، من يطيق هــذا الكلام ؟ فرجع كثير عن صحبته »(١٧) . وهذا الكلام ان حمل على ظاهره ولم يتأول فهو هوس ، والسيد المسيح محاشى عنه . والكلام على الشىء بالرد او القبول فرع كونه معقولا ، والبحث عن النكيل(١٨) لا يجىء الا ركيكا ..

٤٥/أ

واذا كان فى الأنابيب خلف   وقع الطيش فى رؤس الصعاد

ولا شك أن العقلاء من النصارى اليــوم لو جمعوا بين قوله ان الله هو الكلمة ، وان الكلمة صـارت جسـدا ، وانه أمرهم ان ياكلوا ذلك الجسـد ويشربوا دمه / لنفروا من دين النصرانية نفرة حمر الوحش رأت قسورة . ولكن قلوبهم فى أكنة عن تدبر الحقائق .

٤٥/ب

موضع آخر : قال متى « كان يوحنــا المعمـــدانى لا ياكل ولا يشرب »(١٩) . وأكذبه أصحابه فقالوا : « كان طعام يوحنا هذا الجراد وعســل البر »(٢٠) ، وهــذا من افحش مراتب الكذب . تكاذب الانجيل والمزامير ، قال النصـارى : قال داوود فى مزموره : « قال الرب لربى

---

(١٧) لم أعثر على الجزء الأول من هذا النص فى يوحنا ، لكن النص بأكمله موجود فى الأناجيل الثلاثة الأخرى ، راجع : لوقا : ٢٢ : ١٩ ، ٢٠ . مرقص : ١٤ : ٢٢ ــ ٢٤ . متى : ٢٦ : ٢٦ ــ ٢٨ . راجع بالنسبة للجزء الثانى من النص ، ابتداء من قوله : « لأن جسدى ماكل حــق .. الخ » يوحنا : ٦ ، عد : ٥١ وما بعده .

(١٨) « النكيل » : كذا فى الأصل ، ولعلها « الركيك » ليكون المعنى : والبحث عن الركيك لا يكون الا ركيكا ، فيتفق مع البيت الآتى بعــده .

(١٩) راجع متى ، ح ١١ ، عد ١٨

(٢٠) متى ، ح ٣ ، عد ٤ ، مرقص ، ح ١ ، عد ٦

اجلس عن يمينى »(٢١) ، فاعتقدوا بذلك / أن المسيح رب داوود ، ٤٦/أ
ورب كل شىء ، وذلك مكذب بقول لوقا : « قال جبريل لمريم : ستلدين ابنا يجلسه الله على كرسى أبيه داوود »(٢٢) فجبريل يخبر عن الله تعالى أن المسيح ابن داوود ، فكيف تقولون : لا ، ولكنه رب داوود ؟ ونعوذ بالله من الخذلان واللعب بالأديان ٠

موضع آخر : قال متى : « لما حمل يسوع الى فيلاطس القائد ، قال : اى شىء عمل هذا ؟ فقالوا : اصلبه ٠ فلما راى أن لا بد لهم من قتله ، أخذ ماء وغسل يد يسوع وقال : أنا بريىء من دم هذا الصديق وانتم ابصر »(٢٣) ٠ وكذب ذلك يوحنا وقال : « لما حمل يسوع الى القائد / فيلاطس قال لليهود : ما تريدون من هذا ؟ ٤٦/ب
فقالوا : نصلبه ، فضرب يسوع وجلده وسلمه اليهم »(٢٤) ٠ فهذا أحد التلاميذ يخبر ان القائد احترمه وغسل يده ، والآخر يقول : كلا ، ولكن اهانه وجلده ٠

موضع آخر : قال يوحنا : « ان المسيح لما حمل الى رئيس الكهنة اليهود موثقا وسأله عن حاله وما يدعو اليه ، فنصح بمعاذيره بين يديه ، قام اليه رجل من الجند فلطمه على خده الأيمن وقال : أهكذا تحادث عظيم الكهنة ؟ قال يسوع : ان كنت قلت / رديا فاشهد ٤٧/أ
بالردى ، وان كنت قلت خيرا فلم تضربنى » ؟(٢٥) ٠ وهذا تكذيب لقول لوقا فى صدر انجيله : « ان المسيح يكون ملكا على بنى اسرائيل ، جالسا على كرسى أبيه داوود الى الأبد »(٢٦) ولم يقل انه يحمل فى القيود الى اليهود ٠

---

(٢١) مزمور ١١٠ ، عد ١
(٢٢) لوقا ، ح ١ ، عد ٣٠ – ٣٢
(٢٣) متى ، ح ٢٧ ، عد ٢٢ – ٢٥
(٢٤) يوحنا ، ح ١٨ ، عد ٣١ ، ح ١٩ ، عد ١ ، ٢
(٢٥) يوحنا ، ح ١٨ ، عد ١٩ – ٢٣
(٢٦) لوقا ، ح ١ ، عد ٣٠ – ٣٢

موضع آخر فى غاية التناقض : قال لوقا : « قال المسيح : من ليس معه سيف فليبع ثيابه وليشتر له سيفا »(٢٧) ۰ واكذبه الباقون
٤٧/ب فقالوا : « قال المسيح : لا تقابلوا الشر بالشر ، ولكن من لطمك على / خدك الأيمن فحول له الآخر ، ومن أراد ثوبك فزده ازارك ، ومن سخرك ميلا فامض معه اثنين »(٢٨) ۰ ولما خرج اليهود لأخذه جرد شمعون الصفا سيفه فانتهره المسيح وقال : اردد سيفك الى غمده ، فان من أخذ بالسيف هلك بالسيف »(٢٩) ۰ وذلك مما يوهى نقلهم عنه انه امر ببيع الثياب وشراء السيوف ۰

ولنقتصر على هذه النبذة من اظهار تناقض كتابهم ، فقد طولت النفس فى الكتاب الكبير(٣٠) فليبدوا لنا وجه الجمع فى هذه الأقاويل المروية عن الانجيل ، والله المستعان ۰

* * *

---

(٢٧) لوقا ، ح ٢٢ ، عد ٣٦ ـ ٤٠

(٢٨) متى ، ح ٥ ، عد ٣٨ ـ ٤١ ، لوقا ، ح ٦ ، عد ٢٧ ـ ٣٠

(٢٩) متى ، ح ٢٦ ، عد ٥١ ـ ٥٢

(٣٠) الكتاب الكبير الذى يشير اليه هو كتابه : « تخجيل من حرف الانجيل » وقد اشار اليه مرارا فى صلب هذا الكتاب ۰

المسألة السادسة : فى اثبات نبوة المسيح عليه السلام ١/٤٨

اعلم ان فى اثبات نبوة المسيح ارغاما لليهود [والنصارى](١) جميعا ، وذلك ان الطائفتين فى المسيح طرفا نقيض ٠ أما اليهود - أبعدهم الله - فانهم يرمونه بالكذب والسحر والنيرنجيات واستسخار الشياطين فى اغراضه ومآربه ، فقالوا : انه لا تخرج الشياطين من الآدميين ، الا أنه سخر رئيس الشياطين ٠ وزعموا انه لم يحيى ميتا قط ، ولا أبرأ يوما ذا علة قط ، ولكنه واطأ على ذلك بعض المتحيلين ، فتماوت ، وواطأ آخر فتقاعد حتى صار فى صورة الزمن // مدة حتى تعقدت رجلاه ، ثم مر به ٤٨/ب كأنه لا يريده ، ثم ناداه : اشفنى يابن داوود ، فتناول يده فأقامه بعد ان عرف بالقعود مدة على الطريق يستعطى من الناس ٠ واستبعد آخرون هذه المخاريق فقالوا : بل نطقت معرفته بالطب حتى نفذ فيه نفوذا أربى فيه على أساطين الحكمة من الأطباء واليهود بأجمعهم ، وينسبونه الى بنوة الزنا ، كما شهد بذلك الانجيل ، حيث يقول اليهود فى المحاورة والمناظرة : واما نحن فليس لنا مولود من زنا ٠

واذا نحن اثبتنا معجزاته وآياته فكلما ابدوه من القوادح فى طريق ثبوتها انعكس مثلها // عليهم فى اثبات نبوة موسى عليهما السلام ٠ وكل ١/٤٩ سؤال انعكس على مورده فهو باطل من أصله ٠

اما النصارى فانهم مجمعون على الهية المسيح واعتقاد ربوبيته وأنه الاله الذى خلق العالم وجبل بيده طينة آدم ٠ فاذا اثبتنا نبوته واوضحنا رسالته عرف ان الاله غيره وان الرب سواه ٠ ونحن نوضح ذلك من اقوال المسيح فى الانجيل وأقوال أصحابه وتلاميذه الذين شاهدوه وسمعوا كلامه ، بعون الله تعالى ٠

---

(١) « والنصارى » كلمة غير موجودة فى الأصل ، أضفناها لأنها ضرورية لتمام المعنى ، كما هو ظاهر ٠

٤٩/ب قال يوحنا /: « قال المسيح لتلاميذه : من قبلكم واكرمكم فقد قبلنى وآوانى ، ومن قبلنى فقد قبل من ارسلنى ، ما من عبد افضل من سيده »(٢) . فهذا يوحنا صاحب المسيح يخبر انه لم يدع سوى الرسالة ، ويذكر ان الله غيره وان الرب سواه وانه سفير بين الله وخلقه ويذكر انه عبد وان الله سيده .

فان قالت النصارى : انما اراد بقوله : ما من عبد افضل من سيده انه سيد الحواريين وهم عبيده ، قلنا لهم : كذبتم ، فانه ما ناداهم قط الا اخوته

٥٠/أ فى سائر الانجيل / فقال له قائل : « اخوتك بالباب ، فاشار بيده الى اصحابه وقال : هؤلاء اخوانى »(٣) .

وقال له رجل : « ياسيد ، فقال : لست ادعوكم عبيدا ، بل انتم اخوتى »(٤) . وقال لمريم : « قولى لاخوتى يسبقونى الى الجليل »(٥) . فالمسيح يقول انه رسول من الله ، والنصارى تقول بل هو اله ، ويقولون انه عبد ويعتقدون انه رب . لقد تباعد ما بينهم وبين المسيح .

شهادة اصحاب المسيح له بالنبوة : قال متى فى انجيله : « لما

٥٠/ب دنا المسيح واصحابه من اورشليم ، ارسل من جاءه باتان وجحش / فركب وفرش الناس له ثيابهم وارتجت المدينة لدخوله ، فقال الجميع : هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل »(٦) .

قال المؤلف : وجه الدلالة من ذلك شهادتهم له بالنبوة وعدم الانكار عليهم ، وذلك رضا بما يقولون . وكيف يسمع آلافا من الناس يشهدون انه النبى الآتى من الناصرة ويقرهم على ذلك ولا تقوم به الحجة ؟ افيظن متأخرو النصارى يومنا هذا انهم اعلم بالمسيح ممن رآه وشاهده وصحبه ؟

٥١/أ فترك الانكار عليهم محض الرضا بما يهتفون به /

---

(٢) يوحنا ، ح ١٢ ، عد ٤٤ ، ح ١٣ ، عد ١٦
(٣) متى ، ح ١٢ ، عد ٤٦ ـ ٤٩
(٤) متى ، ح ٢٣ ، عد ٨
(٥) متى ، ح ٢٨ ، عد ١٠
(٦) متى ، ح ٢١ ، عد ١ ـ ٩

نوع آخر : قال لوقا فى انجيله : « صحب يسوع رجلين بعد قيامـــه ، وهما يتحدثان فى شانه وشأن اليهود ، وكانت عيونهما ممسوكة عنه . فقال لهما : من تذكران ؟ فقالا : يسوع الناصرى ، كان رجلا نبيا قويـا بالأعمال . فاقرهما ولم ينكر عليهما وسار معهما الى قريتهما فاضـــافوه وبـات عندهم »(٧) وذلك دليل على نبوته عليه السلام . والا ، كيف يسمع نطقهما بما لا يجوز ولا ينهرهما ويرشدهما ؟ فطالما كان يخزى اليهـود فى المناظرات / ويلعنهم فى المجالس صريحا وذلك فيما لا تعم به البلوى، ٥١/ب وهو اذ ذاك فى حال خوفه وتوقيه ، فكيف يحاشى الرجلين ويسمح لهمـا ان يعتقدا نبوته وهو فى زعم النصارى ربهم وخالقهم ، ويؤخر البيـــان عن وقت الحاجة ، وهى فى الساعة التى ازمع فيها مفارقة اهل الأرضين والصعود الى السماء ، وقد صار لهما مع العبودية حق الرفقة والمباينة ، وهو يسمعهما يقولان : ان يسوع المسيح كان نبيا قويا بالأعمال ، والمداهنة والتقية فى الدين غير / جائزة ، لا سيما من مثل المسيح عليه الســـلام ؟ ٥٢/أ فكيف لم يرض النصارى للمسيح بما رضى به لنفسه من خيار اهل زمانه ؟

دليل على نبوة المسيح عليه السلام : قال متى : « جاء الى يسوع الرؤساء من الكهنة فقالوا له : « بأى سلطان تفعل هذا الذى تفعل ؟ ومن اعطاك هذا السلطان ؟ فقال : اخبرونى عن معمودية يوحنا ، من أين هى ؟ أمن الله ام من الناس ؟ فخافوا أن يقولوا هى من الناس ، لأن يوحنـــا عند الناس مثل نبى من الأنبياء / . وجه الدلالة أنه سوى بين نفســـه وبين ٥٢/ب يحيى بن زكريا .

دليل آخر على نبوتهعليه السلام : قال متى « قال رجل للمسيح : يا معلم ، أيما اعظم الوصايا كلها فى الناموس ؟ فقال : اعظم الوصايا كلها فى الناموس ان تحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قوتك ، ففى هذا جميع النبوات معلقة »(٨) . وهذا دأب

---

(٧) لوقا ، ح ٢٤ ، عد ١٣ ـ ٣٥
(٨) متى ، ح ٢٢ ، عد ٣٧

الأنبياء يدعون الخلائق الى عبادة الله وتوحيده ومحبته ، فأين جواب

١/٥٣ المسيح من / اعتقاد الثالوث والهذيان الذى يعتقده النصارى فيه اليوم ؟

دليل صحيح على نبوة المسيح : قال متى : « قال يسوع المسيح وهو يخاطب البلد : يا اورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها : كم مرة أردت أن اجمع بنيك من حولك كما تجمع الدجاجة فراخها فلم يريدوا »(٩) . ووجه الدلالة من هذا الكلام انهم كانوا يتوثبون على المسيح باورشليم ، وهى بيت المقدس ، يريدون قتله كما قتلوا الانبياء

٥٣/ب بها والمرسلين ، اذ كان / يفحمهم بالحجج ، ويظهر عليهم فى المناظرات ، فربما تناولوا الحجارة ليرجموه . فكأنه يقول : تريدون قتلى كما قتلتم الأنبياء قبلى ؟ والخطاب للبلدة والمراد اهلها . والقول بنبوته الزم واظهر على اعتقاد النصارى ، لأنهم يزعمون انه قتل باورشليم ، وهى البيت المقدس ، فان كان الأمر كما قالوا فهو نبى لا محالة لأنه قال : يا قاتلة الأنبياء ، ولم يقل : ياقاتلة الاله . وفى الكلام ما يمنعهم من اعتقاد ربوبيته ،

١/٥٤ لأنه أراد جمعهم على الايمان فلم تنفذ ارادته ، ومن لا تنفذ / ارادته ومشيئته فلا يصلح للربوبية . والعجب انه اراد جمعهم واراد اليهود الا يجتمعوا فنفذت ارادتهم دون ارادته . واله تقصر ارادته وتنفذ ارادتهم دون ارادته ، وهم عبيده ، اله ضعيف . وهذا ، فاعلم ، حال الأنبياء مع كفار قومهم ، فلو أن النصارى جمعوا بين قولهم للبلد : ياقاتلة الأنبياء ، وبين دعواهم انه قتل بها ، لم يسعهم الا القول بنبوته ولكن افهام القوم بعيدة عن هذا النمط ، قريبة من السقط والغلط ، الا تراهم كيف جمعوا فى

٥٤/ب اعتقادهم / بين الأضداد فقالوا فى تسبيحة : نؤمن بالرب يسوع المسيح الذى خلق كل شىء ، واتقن العوالم بيده ، وقتل وصلب أيام هيرودس ؟ فبينما هم ينعتونه بالرب المجيد اذ وصفوه بذل ما عليه مزيد .

---

(٩) متى ، ح ٢٣ ، عد ٣٧

دعوى المسيح عليه السلام بنبوته صريحا وشهادة اشعياء له بالرسالة :

قال لوقا : « جاء يسوع الى الناصرة حيث تربى ، ودخل فى مجامعهم يقرأ كعادته فدفع له سفر اشعياء النبى عليه السلام ، فلما فتحه اذا فيه : روح الرب على ، من اجل هذا مسحنى وارسلنى / لأبشر المساكين واشفى منكسرى القلوب وانذر المأسورين بالتخلية والعميان بالنظر وابشر بالسنة المقبولة ، ثم طوى السفر ودفعه للخادم ، فجعلوا ينظرون اليه ويقولون : اليس هذا ابن يوسف ؟ فقال : الحق اقول لكم : انه لا يقبل نبى فى مدينته وعند عشيرته »(١٠) فهذا المسيح يذكر نبوة نفسه صريحا . وقول اشعياء : « روح الرب على » يريد العلوم والحكمة ، كقول الله فى التوراة لموسى : « يصنع لى قبة الزمان بصلائل الذى ملأه روح الله بالعلم والحكمة »(١١) ، وكقول / الانجيل : « ان يحيى بن زكريا امتلأ من روح القدس وهو فى بطن امه »(١٢) .

١/٥٥

٥٥/ب

شهادة اهل عصره له بالنبوة والرسالة : قال لوقا : « راى يسوع جنازة شاب وحيد لأمه ومعها جمع من اهل المدينة وهى تبكى عليه فرحمها وتقدم فأحيا لها ولدها وسلمه اليها فراى الناس ذلك ومجدوا الله وقالوا : لقد قام فينا نبى عظيم وتعاهد الله شعبه بصلاح » (١٣) . فهذه شهادة من شاهد المسيح من اهل زمانه له بالنبوة وانما اورد ذلك لوقا مورد / التمدح بنبوة المسيح . وقد ذكرنا من احياء الأموات من انبياء الله ومن زاد فى ذلك على فعل المسيح عليه السلام . وان زعم النصارى ان قولهم : « لقد قام فينا نبى عظيم » لا تثبت به الحجة ، قلنا لهم : الحجة القاطعة فى تقريرهم على ذلك والرضا به منهم وترك الانكار عليهم . فان كان ذلك كفرا

١/٥٦

---

(١٠) لوقا ، ح ٤ ، عد ١٦ – ٢٤

(١١) سفر الخروج ، ح ٣٧ ، عد ١

(١٢) لوقا ، ح ١ ، عد ١٥

(١٣) لوقا ، ح ٧ ، عد ١١ – ١٦

وخطأ فالمسيح محاشى عن ان يقر امته على اعتقادهم الكفر ٠ وانما ارسل لنشر الحق وارشاد الخلق اسوة امثاله من النبيين ٠

٥٦/ب بيان اضافة ما يصدر منه / من الخوارق الى خالقه جل وعلا : قال لوقا : « اتى المسيح بمجنون لا يسكن الا المقابر ولا يلبس ثوبا ، فلما رأى يسوع خر بين يديه وقال : يا يسوع : سالتك بالله لا تعذبنى ، فقال : اخرج من الرجل ، فخرج ، وافاق الرجل وسال المسيح الصحبة ، فقال له : اذهب واخبر الناس بالذى صنع الله بك ، فذهب الرجل وجعل ينادى بذلك فى المدينة »(١٤) ٠ فقد أخبر المسيح بان الله هو الذى عافا المجنون من جنونه ٠

فان قالت النصارى : لا فرق بينهما ، اذ المسيح هو الله ، والله هو المسيح / ٠ قلنا لهم فالمجنون اذن أعقل فى حال جنونه منكم فى حال عقولكم ، اذ يقول : يا يسوع المسيح : اسالك بالله ، فقد عرف الله تعالى على حدته وعرف المسيح على حدته ، وأدرك التفرقة بين الاله المقسم به والانسان المقسم عليه ٠ وانتم تقولون ان الاله هو الانسان والانسان هو الاله ، فأيكم أولى بالجنون ؟ ٥٧/أ

شهادة يوحنا الانجيلى للمسيح بالنبوة صريحا : قال يوحنا الانجيلى : « كان الناس اذا راوا المسيح وسمعوا كلامه يقولون : هذا النبى حقا »(١٥) ٠ وانما / أورد ذلك يوحنا مورد المتمدح للمسيح بالنبوة ردا على اليهود فى نسبتهم للمسيح الى السحر والكذب على الله تعالى فأحب تعريف المتأخرين بنبوته عليه السلام ٠ وقال يوحنا ايضا : « تفل المسيح على طين ووضعه على عينى اكمه وقال : اذهب فاغتسل فى عين سلوخا ، ففعل ، فانفتحت عيناه ، وذلك يوم السبت ، فوقع بين اليهود فيه خلف ، فمنهم من يقول : ليس هذا الرجل من الله ، ٥٧/ب

---

(١٤) لوقا ، ح ٨ ، عد ٢٦ ـ ٣٩

(١٥) يوحنا ، ح ٦ ، عد ١٤

اذ لا يحترم السبت • ومنهم من يقول : هو نبى ، ومنهم من يقول : / لا يجىء نبى من الجليل »(١٦) • وقال يوحنا ايضا فى انجيله : « ان المسيح اجتاز ببئر من آبار السمرة ، وقد عيى من تعب الطريق ، فسال امراة ان تسقيه ماء ، وفاوضها حتى اخبرها انها تزوجت خمسة أزواج ، فلما رات بعض اعلامه قالت له : يا سيدى : انى اراك نبيا ، وقد علمنا ان مسيحا ياتى • فقال لها : « انا هو الذى اكلمك »(١٧) • وذلك تصريح منه عليه السلام بالنبوة • فمن اشد ضلالة ومن اعمى بصيرة ممن يقرأ هذه الفصول من الانجيل المصرحة بنبوته ورسالته ثم يحمله الالف / وعادة السوء على تنكبها واعتقاد خلافها !

١/٥٨

٥٨/ب

شهادة يوحنا برسالة المسيح عليه السلام : قال يوحنا التلميذ : « حضر يسوع الى قبر العازر مع اخته ثم قال : اين دفنتموه ؟ فاشارت الى المغارة التى هو فيها • فقال : ارفعوا الحجر عنه • ثم بكى فقال اليهود : انظروا كيف يحبيه • ثم رفع المسيح عينيه الى السماء وقال : اشكرك لأنك تسمع لى ، وأعلم انك تسمع لى كل حين ، وانما اشكرك لأجل هؤلاء القيام ليعلموا انك ارسلتنى • ثم قال : عازر ، اخرج ، فقام / العازر من قبره »(١٨) •

١/٥٩

فهذا يوحنا يشهد بان المسيح لم يدع سوى الرسالة ويعترف بان الله غيره وان الرب سواه وانه سائل والله المسئول وانه داع والله مدعو • وذلك خلاف عقد النصارى اليوم فيه ، حيث يقراون فى الأمانة التى الفها مشايخهم ان المسيح هو الاله الحق الذى اتقن العوالم وخلق كل شىء بيده ، وذلك باطل بقول المسيح : ان الله غيره وان الرب سواه وانه رسول من الله الى خلقه وسفير بينه وبين عباده كسائر المرسلين ،

---

(١٦) يوحنا ، ح ٩ ، عدد ١ — ٧ ، راجع بالنسبة للجزء الأخير من النص : يوحنا ح ٧ ، عد ٥٢

(١٧) يوحنا ، ح ٤ ، عد ١ — ٢٦

(١٨) يوحنا ، ح ١١ ، عد ٢٧ — ٤٤

٥٩/ب فقد ثبت بما نقلناه نبوة المسيح ورسالته بنص انجيله / وهى الفصول التى حماها الله من التبديل ووقاها من التغيير والتحويل صيانة لنبوته ﷺ من زيغ الزائغين ، صلى الله عليه وعلى اخوانه من النبيين والمرسلين .

وينبغى ان نسال النصارى عن هـذه الفصول التى تلوناها عليهم فى انجيلهم فيقـال لهم : أحق ذلك أم باطل ؟ فان اعترفوا انها حق تركوا التنصر ، وان زعمـوا انها باطل كفـروا بالانجيل وتركوا دين النصرانية . فهم كيفما ارادوا فارقوا ما هم عليه لا محالة .

* * *

المسألة السابعة : فى اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ونحن نبنى نبوته عليه السلام على ثلاثة أصول : أحدها دعواه النبوة والثانى تحديه على ذلك بالخوارق الباهرة لأولى الألباب البشرية ، والثالث تنصيص الأنبياء المتقدمين عليه وعلى شريعته وبلده وأمته ، تارة باسمه وأخرى بموضعه وبلده ، وتارة بأعلام دينه وشعائر شرعته ·

بيان الأول هو انا نقول : ان مجيء محمد ﷺ / ودعواه النبوة والرسالة أمر مقطوع به ، فمن رام له نزاعا أو أبدى فيه دفاعا انعكس ذلك عليه بمن ينتمى اليه ، وكان بمثابة من جحد وجود مكة وبغداد ، اذ طريق ثبوت الكل انما هو خبر التواتر الموجب للعلم الضرورى · وهذ متفق عليه لا يسوغ النزاع فيه · ٦٠/أ

وأما بيان الثانى فهو انا نقول : قد صح وتواتر عنه عليه السلام انه كان عربيا أميا ناشئا بأرض لا علوم بها ولا معارف ، وذلك معروف من حاله ضرورة · فلم يفجأ الناس أن تلى عليهم كتابا / يتضمن شرح ما فى التوراة والانجيل ونبوات الأنبياء ، مفصلا مبينا ، من بدء خلق السموات والأرض الى قيام الساعة · ثم سرد عليهم ذكر الأنبياء وأممها السابقة وما جرى للقرون الماضية ، لم يغادر من ذلك حرفا مما طولعت عليه كتب المتقدمين والمتأخرين ، فالفى الأمر كما قال · وذاك عند العقلاء لا يتقاعد عند الدلالة عن سائر معجزات الرسل عليهم السلام · فهذه آية عظيمة · فان نازع النصارى وانكروا صحتها فهم مخصومون بالتواتر ، اذ شهد التواتر أن / محمدا ﷺ مع كونه أميا لا يحسن الخط ولا يقرأ كتابا قط ، الناطق بهذا الكتاب العزيز المشتمل على ما قدمناه من أخبار السموات والأرض وما بينهما بأوجز نطق وأقرب مأخذ وأحسن نسق وأرق لفظ وأجزل معنى ، فلو جاز أن يجرى مثل ذلك ثم لا يدل على الصدق لتطرق ذلك الى سائر معجزات الرسل عليهم السلام · ولنذكر بعض معجزاته عليه السلام ، فان احصاءها مع كثرتها تضيق عنه هذه الأوراق · ٦٠/ب ٦١/أ

٦١/ب فمن معجزاته عليه السلام / مما يتعلق بالغيب الذى لا يعلمه البشر الا باخبار الله تعالى ، انه اخبر اصحابه انهم يدخلون البيت الحرام آمنين ، والمسجد حينئذ فى ايدى الكفار وعباد الأصنام والأحجار ، فدخلوا كما اخبر آمنين ومحوا ما به من رجس المشركين ، وذلك منصوص عليه فى كتاب الله تعالى المنقول نقل التواتر .

ومن معجزاته عليه السلام انه اخبر اصحابه ان الله تعالى يستخلفهم فى الأرض ويملكهم فيها ، وهم حالة هذه الأخبار لا يستطيع
٦٢/أ احدهم ان يذهب / لحاجته لكثرة اعدائه المحيطين بهم فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم .

ومن معجزاته ﷺ اخباره ان الله ينصر دينه على الدين كله وان الناس يدخلون فى دين الله افواجا فكان كما قال ﷺ ، ونصر الله دينه على كل دين ودخل الخلق فى دينه افواجا كما قال ، وفتحت امته الأرض ودوخوا البلاد وطبقوا الأرض وملأوا اكناف العالم وعمروا مهاب
٦٢/ب الرياح الأربع ، من الصبا والدبور والشمال / والجنوب ، فكان ذلك مصداقا لقوله ﷺ : « زويت لى الأرض حتى رايت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها »(١) .

ومن معجزاته ﷺ انه سئل آية فاشار الى القمر فانشق نصفين حتى رؤى الجبل بينهما وقال عليه السلام لمن حضر : اشهدوا ، فقال الكفار : سحركم محمد ، فقال بعضهم : ان كان سحرا فانه لم يتجاوز موضعه
٦٣/أ فسلوا من يقدم عليكم من البلاد ، فسالوا من بعد ذلك / من قدم ، فأخبروا أيضا بذلك ، فقال الكفار : هذا سحر مستمر »(٢) .

---

(١) راجع مسند احمد بن حنبل : جـ ٤ ، حديث رقم ١٢٣ ، جـ ٥ حديث رقم ٢٧٨ ، ٢٨٤ وراجع صحيح مسلم ، باب الفتن ، حديث رقم ١٩ . وراجع سنن أبى داوود ، باب الفتن ، حديث رقم ١ وصحيح الترمذى ، باب الفتن رقم ١٤ . وابن ماجة ، باب الفتن رقم ٩

(٢) راجع صحيح البخارى ، مناقب رقم ٢٧ ، ومناقب الأنصار رقم ٣٦ ، وباب التفسير ، سورة القمر . وراجع صحيح مسلم ، باب المنافقين ، حديث رقم ٤٦ . الترمذى ، باب التفسير ، سورة القمر ومسند احمد ، جـ ٣ ، حديث رقم ١٦٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٠

وقيل له : قد غلبت الروم ، فأخبر أنهم من بعد غلبهم سيغلبون فى مدة ذكرها لهم ، اعنى اصحابه فكان كما قال . كل هـذه الآيات قد تضمنها المنقول نقل التواتر ، فلو جاز رد ذلك لجاز رد آيات التوراة والانجيل ، اذ طريق النقـل واحد .

ومن معجزاته ﷺ وقوف الشمس عن جريانها « كان رسول الله/ﷺ ٦٣/ب يوحى اليه وهو فى حجر على ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس ، فقام عليه السـلام فقال : صليت العصر يا على ؟ فقال : لا ، فقال عليه السـلام : اللهم انه ان كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه شمس ، فردت حتى طلعت على الجبال ، وذلك بالصهباء » اخرجه الطحاوى عن أسـماء ابنة عميس . فان ابدى اليهود فى ذلك نزاعا قلنا لهم : ما دليلكم على أن الشمس ردت ليوشع ابن النون ؟ فان قالوا : تلقاه اعداؤنا بالقبول ، قلنا لهم : فاقنعوا منا بمثل هـذا الجواب . فان قالوا : لو كان / ما تدعونه صحيحا لطبق الأرض علمه قلنا : الأرض ٦٤/أ كرة ، فقد يجرى فى أحد جانبى الكرة ما لا يعلم به فى الجانب الآخر . الا ترون ان الملك يخالفكم فى آية يوشع ولم يضركم ذلك ؟ قال العلماء : لا ينبغى لأهل العلم التخلف عن حديث أسماء لأنه علم من أعلام النبوة ، وقد فعل ذلك عليه السـلام مرارا .

قال المؤلف : ان رد النصارى ما روته أسماء من وقوف الشمس قيل لهم : الم ترووا انتم عن مريم المجدلانية التى زعمتم أن المسـيح ابراها / من الجنون أمورا من أعلام المسيح ؟ فاذا قالوا : بلى ، قيل ٦٤/ب لهم : ما الذى جعل امراة حديثة عهد بسبعة شياطين أولى بالصدق والعدل فى الرواية من امراة عربية عاقلة ؟ وان رد ذلك اليهود قيل لهم : ألم تحـكوا لنا عن مريم أخت موسى وهارون أعلاما من أعلام موسى ، فاذا كانت اخت موسى مؤتمنة على ما تحكيه من اثبات شرف أخيها وجلالته وفضله وعزه عدلها فالأجنبية أولى بالأمانة اذ الوثوق بنقلها أعظم.

ومن معجزاته ﷺ / نبع المـاء من بين أصابعه وتكثير القليل ٦٥/أ

منه حتى كفى الخلق الكثير من أصحابه ﷺ . قال أنس : حضرت الصلاة وليس مع الناس ما يتوضأون به ، وفى رواية عن أنس قال : « اتى النبى ﷺ باناء وهو بالزوراء فوضع يده فى الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ القوم . قال قتادة : قلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : ثلاث مائة ، أو زهاء ثلاث مائة »(٣) . روى سالم بن ابى الجعد عن جابر بن عبد الله قال : « عطش الناس يوم الحديبية والنبى ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ ، فلما توضأ جهش الناس نحوه ، قال : ما بالكم ؟

٦٥/ب قالوا : ليس عندنا ما نتوضأ / ولا نشرب الا ما بين يديك . فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة »(٤) وبالجملة فأحاديث نبع الماء من بين اصابع محمد ﷺ متواترة مستفيضة وكذلك أحاديث استنباطه الماء من الأرض القفر ببركته مشهورة ، مذكورة معروفة ، عند أهل العلم .

٦٦/أ قال المؤلف : اعلم ان فى أحاديث نبع الماء ما هو مساو لآية / موسى عليه السلام فى استنباطه الماء من الحجر الصوان وفيها ما هو ابهر للعقول من ذلك ، اذ نبع الماء من الأرض والحجر معتاد مألوف ، فأما نبع الماء من بين أصابع آدمى فهو العجب الذى لا يدخل تحت مقدور البشر . فان نازع فى ذلك أحد من اليهود قلنا له : من أين صح لك أن موسى فجر الماء من حجر الصوان ؟ أذلك شىء شاهدتموه أم هو الخبر الصريح والنقل الصحيح المستفيض ؟ فان أسندوا ذلك الى النقل

٦٦/ب والرواية قيل لهم : من أصار رواتك ، وهم المشهود عليهم فى التوراة /

---

(٣) راجع صحيح البخارى ، باب الوضوء ، حديث رقم ٣٢ ، ٤٦ باب المناقب ، حديث رقم ٢٥ ،وراجع صحيح مسلم ، باب الفضائل ، حديث رقم ٤ ، ٥ ، وراجع النسائى ، باب الطهارة ، حديث رقم ٦٠ ، وراجع الدارمى ، مقدمة ، حديث رقم ٢٥ ، وراجع الموطأ ، باب الطهارة ، حديث رقم ٣٢ ، وراجع صحيح مسلم ، باب الفضائل ، حديث رقم ٦ ، وراجع الترمذى ، باب المناقب ، حديث رقم ٦ ، وراجع مسند أحمد ، ج ٣ ، أحاديث : ١٤٧ ، ١٧٠ ، ٢١٥ ، ٢٨٩

(٤) راجع المصادر السابقة ، فى نفس الأمكنة .

بالفسق والعتو والغلظ والقسوة اولى بصحة النقل من رواة آيات محمد ﷺ ، وهم المشهود لهم فى القرآن بالدين والايمان والحلم والعدالة ؟ فاما المسيح عليه السلام فلم نجد له فى الكتاب الذى بيد النصارى نظير نبع الماء فنتكلم على ذلك .

ومن معجزاته ﷺ انه كان مع أصحابه فى سفر فأصابهم عطش فبعث رجلين من اصحابه وقال لهما : انكما ستجدان فى مكان كذا امراة معها بعير عليه مزادتان فاتيانى بها ، فذهبا ،./ فاذا الأمر كما قال ، فاتيا بها ، فامر الناس فشربوا وسقوا ركابهم وملأوا كل اناء معهم . واذا المزادتان كانهما لم يذهب منهما شىء ، فأمر عليه السلام فجمع لها من الطعام ما ملأ بعيرها(٥) ثم قال : اعلمى انا لم نرزأ من مائك شيئا ولكن الله الذى اسقانا فرجعت الى قومها فأخبرتهم الخبر فاسلموا »(٦) . ٦٧/أ

قال المؤلف : ان نازع فى ذلك نصرانى قيل له : الم ترو عن انجيلك ان المسيح جاع فقصد شجرة تين ليصيب منها ثمرة ، فلما جاءها لم يجد فيها / سوى الورق ، فدعا عليها فيبست وتساقط ورقها . فمن أصارك بصحة نقلك اسعد من غيرك بنقله ، والطريق واحد ؟ ٦٧/ ب

وهذه الآية اعجب واغرب وأكثر وابهر من آية المسيح اذ كان محمد ﷺ عرف موضع الظعينة ومعها بعير وأن عليه قربتين ماءا وانه سقى منهما جيشا عرمرما وملأ آنيتهم وأعاد المزادتين كما كانتا . فاما المسيح عليه السلام فنقلوا عنه انه لم يعلم خلو الشجرة عن الثمر / حتى قصدها فاخلفت ظنه ولم تطابق حدسه وانه دعا عليها فأهلكها وافسد ماليتها فاما محمد ﷺ فنفع بالماء عسكرا عظيما وابقى مالية ٦٨/أ

---

(٥) « ما ملأ بعيرها » كذا فى الأصل ، ولعله يريد : ما ملأ حمل بعيرها .

(٦) راجع صحيح البخارى : باب التيمم ، حديث رقم ٦ ، وراجع صحيح مسلم ، باب المساجد ، حديث رقم ٣١٢ ، وراجع مسند أحمد ، جـ ٤ ، حديث رقم ٤٣٥

المساء على ربه . فيالله العجب ، محمد يعلم الغيب وهو نبى والمسيح لا يعلمه وهو اله ؟ لقد كاد الله هـذه العقول .

ومن معجزاته ﷺ تكثير الطعام اليسير . قال جابر بن عبد الله : « اطعم رسول الله ﷺ يوم الخندق من صاع شعير وعناق الف رجل حتى تركوه / وانصرفوا وان القدر لتغط كما هى وان العجين ليخبز »(٧) . ٦٨/ب

قال أبو أيوب : « صنعت لرسول الله ﷺ ولصاحبيه أبى بكر وعمر قدر ما يكفيهم من الطعام ، فقال النبى ﷺ : أدع لى ثلاثين رجلا من اشراف الأنصار فدعوتهم فاكلوا حتى تركوه ، ثم قال : ادع لى سبعين رجلا فدعوتهم فأكلوا حتى تركوه ، فلم يخرجوا حتى أسلموا . قال ابو أيوب : فأكل / من طعامى ذلك مائة وثمانون رجلا »(٨) . ٦٩/أ

قال أبو هريرة : « أصاب الناس مخمصة فقال لى رسـول الله ﷺ : هل من شىء ؟ فقلت : نعم ، شىء من تمر فى مزود ، قال : فأتنى به ، فادخل يده فاخرج قبيضة فبسطها ثم دعا بالبركة ثم قال : ادع عشرة ، فدعوتهم ، فاكلوا حتى شبعوا ، ثم قال : ادع عشرة ، فدعوتهم فاكلوا حتى شبعوا ، ولم يزل يقول : ادع ، حتى أكل الجيش عن آخره وشبعوا ، ثم قال ﷺ : خذ ما جئت به ، قال / أبو هريرة : فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وجهزت منه كذا وكذا وسق تمر فى سـبيل الله وكان عدة ذلك التمر بضـع عشرة تمرة(٩) . ٦٩/ب

قال المؤلف : روى هـذه الآيات البينات والمعجزات الباهرات الجم الغفير والخلق الكثير من أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله ، ثم تلقى ذلك عنهم التابعون باحسان ، ثم أخذ ذلك عن التابعين اكابر / العلماء ٧٠/أ

---

(٧) راجع صحيح البخارى ، كتاب المغـازى ، حديث رقم ٢٩ ، وصحيح مسلم ، باب الأشربة ، حديث رقم ١٤١

(٨) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .

(٩) راجع صحيح البخارى ، كتاب المناقب ، حديث رقم ٢٥ ، الدارمى ، مقدمة ، حديث رقم ٧ ، الموطأ ، صفة النبى ، حديث رقم ١٩ ، وراجع ابن ماجه ، كتاب الأطعمة ، حديث رقم ٤٧

وصدور الأئمة . فان أنكر ذلك يهودى قلنا له : ما الدليل على أن موسى اطعم فى البرية جمعا كثيرا من اصحابه منا وسلوى . وان ارتاب به نصرانى قيل له : ما طريق معرفتك بأن المسيح أطعم جموعا كثيرة من حوتين وخمسة أرغفة ؟ فان أسند ذلك الى نقل خلفهم عن سلفهم قيل لهم : اقنعوا منا بمثل هـذا الاسناد ، فمن رام قدحا فى نقلنا لم يسلم من مثل ذلك فى نقله ، فما أجاب به فهو لنا جواب .

قال صالح بن الحسين / : وكما لا يقدح فى آية عيسى تكذيب اليهود فكذلك لا يقدح في آية محمد تكذيبهما . على ان الهند والصين وأكثر الطوائف لا تعرف ما نقله اليهود والنصارى عن موسى وعيسى . وكما لم يضر ذلك لم يضر هـذا . ٧٠/ب

ومن معجزاته ﷺ شـهادة الشجر والحجر له بالنبوة والرسـالة وحنين الجذع شـوقا اليه واجابة ندائه . قال ابن عمـر : « كنا مع رسـول الله ﷺ فى سـفر فجاءه اعرابى فقال له : يا أعرابى : أين تريد ؟ قال : اهلى ، قال : هل أدلك على / خير من ذلك ؟ قال : ما هو ؟ قال : شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسـول الله ، قال : من يشـهد لك على ما تقول ؟ قال : هـذه الشجرة ، فأقبلت الشجرة تخط الأرض حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت لله ولرسـوله ثم رجعت الى مكانها(١٠) قال ابن بريدة : « سأل أعرابى رسـول الله ﷺ آية ، فقال : قل : لتلك الشجرة : رسول الله ﷺ يدعوك ، قـال : ففعل ، فمالت الشـجرة عن يمينها وشـمالها وبين / يديها وخلفها ، ثم جاءت تخد الأرض حتى وقفت بين يدى رسـول الله ﷺ ، فقالت : السـلام عليك يا رسـول الله ، فقال الأعرابى : مرها فلترجع الى موضعها ، فأمرها فرجعت حتى استوت مكانها ، فقال الأعرابى : ايذن لى أن اسجد لك ، فلم يأذن له النبى ﷺ بالسجود ، فقال : ايذن لى فى تقبيل يدك ، ففعل »(١١) . وخرج رسـول الله ﷺ ليقضى حاجة ٧١/أ ٧١/ب

(١٠) لم أجده بهذا اللفظ فى اى من الصحاح .

(١١) راجع ابن ماجه ، باب الفتن ، حديث رقم ٢٣

فلم يجد شيئا يستتر به ، فوجد شجرتين متباعدتين ببطن الوادى ،
١/٧٢ فاخذ بعض / احداهما وقال : انقادى باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير الذلول وفعل بالأخرى كذلك ، ثم قال : التاما باذن الله ، فالتامتا »(١٢) وفى رواية أخرى : أنه أمر جابر بن عبد الله باستدعائهما اليه فجاءته حتى سترته فقضى حاجته . وقال يعلى بن مرة : رأيت شجرة طلح جاءت فاطافت برسول الله ﷺ ثم رجعت الى منبتها(١٣)

٧٢/ب قال المؤلف : لقد بالغت فى اقتصار ما نقلت من هذا / فان قدح فى ذلك يهودى قلنا له : قد حكيت فى توراتك ان موسى اقام عصاه فى قبة الزمان فاورقت واثمرت جوزا ، فبم عرفت صحة ذلك ؟ فانه يجيب نفسه عنا بأبلغ القول . على أن عصى موسى لم تنطق بنبوته ، ولم تجبه بالسلام . فاية محمد اعجب واغرب . وان ارتاب به نصرانى قيل له : قد رويت عن انجيلك الذى بيدك الآن ان الشياطين كانت تكلم المسيح شفاها ، فمن اخبرك بصحة ذلك ؟ فانه يتكلف عنا جواب نفسه
١/٧٣ ويحمل عنا مؤنة الجواب . على ان نطق الشياطين / والانسان معهود مشهود ، فاما الحطب والخشب فكلامه وشهادته ابهر للعقول(١٤) . وقد صح فيما تواتر من الأخبار عنه ﷺ ان الجذع حن اليه حتى سمع اهل المسجد حنينه فقام اليه والتزمه فسكت وكف عن الحنين(١٥) ، فكان الحسن البصرى اذا حدث بحديث الجذع بكى وقال : يا عباد الله : الخشبة تحن الى رسول الله ﷺ شوقا اليه لمكانه من الله تعالى فانتم احق ان تشتاقوا اليه .

---

(١٢) راجع صحيح مسلم ، باب الزهد ، حديث رقم ٧٤ ، والدارمى ، مقدمة ، حديث رقم ٤

(١٣) لم اجده بهذا اللفظ فى أحد الصحاح .

(١٤) « للعقول » فى الأصل « العقول » ولعل الصواب ما اثبتناه .

(١٥) راجع صحيح البخارى ، كتاب المناقب ، حديث رقم ٢٥ ، وابن ماجه ، باب الاقامة ، حديث رقم ١٩٩ ، والدارمى ، مقدمة ، حديث رقم ٦ ، وباب الصلاة ، حديث رقم ٢٠٢

ولنسرد من معجزاته / ﷺ خوارق صحت بها الآثار ونقلها الأعلام ٧٣/ب الكبار ، من المهاجرين والأنصار ، والتابعين والأبرار .

فمن ذلك تسبيح الحصى فى كفه حتى سمعه من حضر مجلسه ، وذلك أنه أخذ كفا من حصى فسبح فى يده ، ثم صبه فى كف أبى بكر فسبح فى يده أيضا(١٦) . ومن ذلك تسبيح الطعام بين يديه قال الصحابة رضوان الله عليهم : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام / بين يديه وهو ٧٤/أ يؤكل(١٧) . ومن ذلك تسليم الحجر والشجر . قال على بن أبى طالب : كنا مع رسول الله ﷺ بمكة ، فخرج الى بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر الا قال : السلام عليك يا رسول الله(١٨) . وقال جابر بن عبد الله : لم يكن رسول الله ﷺ يمر بحجر ولا شجر الا سجد له(١٩) . ومن ذلك اضطراب الجبل لصعوده عليه « صعد رسول الله / ﷺ أحدا مرة (وحرى)(٢٠) أخرى ومعه أبو بكر وعمر ٧٤/ب وعثمان ، فرجف الجبل ، فقال عليه السلام : اثبت أحد ، فانما عليك نبى وصديق وشهيدان ، فقتل عمر وعثمان(٢١) . ومن ذلك سقوط الأصنام وارتكاس الأوثان باشارته ﷺ ». قال ابن عباس : كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما ، مثبتة الأرجل بالرصاص ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد عام / الفتح جعل يشير رسول الله ﷺ اليها ٧٥/أ بقضيب كان بيده ولا يمسها ويقول : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل

---

(١٦) لم أجده بهذا اللفظ فى أحد الصحاح .

(١٧) راجع الدارمى ، مقدمة ، حديث رقم ٥ ، وصحيح البخارى ، كتاب المناقب ، حديث رقم ٢٥ ، ومسند أحمد بن حنبل ، الجزء الأول حديث رقم ٤٦٠

(١٨) راجع ، الترمذى ، باب المناقب ، حديث رقم ٦

(١٩) لم أجده بهذا اللفظ فى أحد الصحاح .

(٢٠) « وحرى » كلمة مثبتة فى الأصل غير واضحة المعنى .

(٢١) راجع صحيح مسلم باب الزهد ، حديث رقم ٧٣ ، وابن ماجه ، باب فضائل الصحابة ، حديث رقم ٥ ــ ٧ ، ومسند أبى داوود ، باب السنة ، حديث رقم ٨ ، والترمذى ، باب المناقب ، حديث رقم ١٧ ، ومسند أحمد بن حنبل ، الجزء الثالث ، حديث رقم ١١٢ ، والجزء السادس ، حديث رقم ١٧

كان زهوقا ، فما أشار الى قفاه الا سقط لوجهه ، ولا الى وجهه الا سقط الى قفاه ، حتى ما بقى منها صنم(٢٢) ورواه ايضا ابن مسعود ٠

قال المؤلف : طريق ثبوت ذلك النقل الحق والخبر الصدق الذى بمثله تثبت اعلام موسى والمسيح وغيرهما من الأنبياء والمرسلين ،
٧٥/ب صلوات الله عليهم أجمعين / فمن رام طعنا فى ذلك انعكس عليه فيمن ينتمى اليه ، وكل سؤال انقلب على مورده فهو باطل من أصله ٠ وفى بعض هذه الآيات أن الشجر والحجر كان يسجد لرسول الله ﷺ اذا رآه وذلك ابدع من سجود المجنون الذى سجد للمسيح عليه السلام ٠

ومن معجزاته ﷺ اظلاله بالغمام ٠ روت الرواة ان النبى ﷺ أقبل والغمامة تظله من الشمس ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه
٧٦/أ الى الشجرة ، فلما جلس مال الفىء الى ناحيته / (٢٣) ٠ ولما قدم من الشام مع غلام خديجة قدم والغمامة تستره وتقيه حر الشمس حتى رأى ذلك من شاهده من الناس(٢٤) ٠ فمن أنكر ذلك من اليهود والنصارى رد عليهم مثله فى غمام موسى والمسيح ، واضطرهم الحال الى التصديق ، والا فتشوش عليهم قواعدهم ، اذ طريق الثبوت واحد ٠

قال صالح بن الحسين : أما آية موسى فمشهورة ، وأما آية عيسى فلم ينقلها سوى بطرس وابنى زبدى ، فهى مروية رواية الآحاد ،
٧٦/ب فأما ستر محمد ﷺ بالغمام فرواه جماعة من السلف / ، فان طعن فيها نصرانى رد عليه مثل ذلك فى آية عيسى ، وان طعن فيها يهودى قيل له : اذا لم يقدح طعن مثلك من الغرق والملك(٢٥) فى آية موسى ، لم يقدح طعنك أنت فى آية محمد ﷺ ٠

---

(٢٢) راجع صحيح البخارى ، باب المظالم ، حديث رقم ٣٩
(٢٣) راجع الترمذى ، باب المناقب ، حديث رقم ٣
(٢٤) راجع الترمذى ، باب المناقب ، حديث رقم ٣ وما بعده ٠
(٢٥) « من الغرق والملك » عبارة غامضة لا يستقيم السياق معها ، ولعل هناك فقرات سابقة على هذه العبارة قد سقطت سهوا من الناسخ ٠

نطق الحيوان البهيم وشهادته له بالنبوة ثم الرسالة وسجوده بين يديه : قال ابن عمر : كان رسول الله ﷺ فى محفل من أصحابه ، فجاءه أعرابى بضب قد صاده ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : نبى الله ، فقال : لا اومن بك / حتى يؤمن بك هذا الضب ، وطرحه بين يدى ٧٧/أ رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : يا ضب ، من أنا ؟ فأجابه : لبيك وسعديك يازين من وافى القيامة . قال : من تعبد ؟ قال : الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه . قال : فمن أنا ؟ قال : رسول رب العالمين وخاتم النبيين ، قد أفلح من صدقك وخاب من كذبك ، فأسلم الأعرابى(٢٦) .

قال المؤلف : هذا اعجب من كلام الأبكم للمسيح ، اذ / كلام ٧٧/ب الآدمى غير عظيم بخلاف كلام الحيوان البهيم . ومن ذلك كلام الذئب ، فقد كلمه الذئب دفعات وخاطبه وشهد له بالنبوة والرسالة ، رواه جماعة . والأحاديث فى ذلك كثيرة جدا ، وأسلم بسبب ذلك جماعة من العرب المتباعدين له صلى الله عليه وسلم . قال أنس بن مالك : دخل رسول الله ﷺ حائط رجل من الأنصار وفيه غنم ، فجاءت وسجدت / لرسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر : نحن أحق لك بالسجود ٧٨/أ منها(٢٧) . وقال أبو هريرة : دخل رسول الله ﷺ حائطا ، فجاء بعير فسجد له(٢٨) . وقال جماعة من الصحابة : كان ببعض حيطان المدينة جمل لا يدخل أحد الحائط الا شد عليه ، فلما دخل رسول الله ﷺ دعا الجمل ، فوضع مشفره بالأرض وبرك بين يديه ﷺ ، فقال عليه السلام : ما بين السماء والأرض شىء الا ويعلم أنى رسول الله الا عاصى الجن / والانس(٢٩) . فان قالوا : لو كان الأمر صحيحا ٧٨/ب لاستفاض عندنا وعند اليهود وسائر الطوائف وذلك لم نسمعه الا منكم .

---

(٢٦) لم أجده بهذا اللفظ فى أى من كتب الصحاح .
(٢٧) لم أجده بهذا اللفظ فى أى من كتب الصحاح .
(٢٨) راجع أحمد بن حنبل ، الجزء السادس ، حديث رقم ٧٦
(٢٩) راجع الدارمى ، المقدمة ، حديث رقم ٤ ، وأحمد بن حنبل ، الجزء الثالث ، أحاديث ٦٠ ، ٣١٠

قلنـا لهم نحن ايضـا : وكذلك الآيات التى تنقلونها لم نسمعها الا منكم .
فان قالوا : انتم مقرون بصدق موسى وعيسى ، ونحن لا نقر به ، فنحن مع من اتفقنا حتى نتفق على غيره . قلنا : من هو موسى وعيسى ؟ اهما اللذان نصـا على محمد او غيرهما ؟ فان كان الأول ، فهما اللذان نقر بهما ، وان كان الثانى فنحن لا نقر به ، وهو عندنا غير معتد به ، ولا / نلتفت اليـه . ومن ذلك ان حمام الحرم اظلته يوم فتح مكة عند دخوله ، فدعا لها بالبركة(٣٠) ومن ذلك كلام الظبية له . قالت ام سلمة : بينا محمد ﷺ فى أرض فلاة اذ نادت ظبية : يا رسول الله ، فقال : ما حاجتك ؟ قالت : صادنى هذا الرجل ، ولى خشفان فى ذلك الجبل ، ارضعهما وارجع ، قال : وتفعلين ؟ قالت : نعم ، فاطلقها ، فذهبت ورجعت ، فانتبه الرجل واسلم ، واطلق / الظبية ، فخرجت تشتد وهى تقول : اشـهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله(٣١) . ومن ذلك تسخير السـبع لمولاه ﷺ ، قال سفينة : ارسلنى رسول الله ﷺ الى معاذ باليمن ، فانكسرت السـفينة ، فطلعت الى جزيرة ، فاستقبلنى الأسد ، فقلت : انا سـفينة مولى رسـول الله ﷺ ومعى كتابه فهمهم ، وجعل يغمزنى بمنكبه حتى اقامنى على الطريق . فلمـا رجعت من اليمن لقينى الأسـد ، فهمهم بشىء ، فقصصت القصـة على رسول الله ﷺ ، وكذلك / جرى فى فتوح الشـام لبعض غلمانه ، حكاه الواقدى . ومن ذلك ان رسول الله ﷺ ارسـله الى الملوك يدعوهم الى دين الاسلام ، فخرجوا متوجهين ، فأصبحوا فى يوم الأحد وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين ارسل اليهم ، حكاه الواقدى .

٧٩/أ — ٧٩/ب — ٨٠/أ

قال المؤلف : هذا نظير ما حكاه النصارى عن رسول المسـيح ، فان قدحوا فيها لم يسلموا فى تطرق القدح فيما نقلوه ، اذ طريق الثبوت واحد . / وقد نقله الخلف عن السـلف ورووه بقلوب سـليمة ، لجوازه وعدم استحالته ، كما تلقى اهـل الكتاب ذلك عن أنبيائهم لاتصافهم بذلك ايضـا .

٨٠/ب

---

(٣٠) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى الصحاح .
(٣١) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى الصحاح .

ومن ذلك كلام الأخرس · روى فهد بن عطية ان رسول الله ﷺ اتى بصبى بلغ الكلام ولم يتكلم ، فقال له رسول الله ﷺ : من انا ؟ قال : انت النبى رسول الله(*) · وقال معرض بن معيقيب : رايت النبى ﷺ فرايت عجبا ، اتى بصبى يوم ولد ، فقال له : من / انا ؟ قال : انت رسول الله ، فقال له : صدقت بارك الله فيك ، فهو مبارك اليمامة ، وذلك فى حجة الوداع(٣٢) · وهاتان الآيتان تزيدان على نقل النصارى من كلام الأخرس للمسيح · وكما لم يقدح فى تكذيب اليهود لآية المسيح لا يخدش تكذيب النصارى لآية محمد ﷺ · فان قالوا : نحن اليهود والنصارى أكثر منكم ، وها نحن ننكر ذلك ، قلنا : وطبقات العالم وسائر فرق بنى آدم ينكرون ما تحكون عن توراتكم وانجيلكم وهو أكثر / منكم اضعافا مضاعفة ، ونحن معشر المسلمين لا نقر بشىء مما تحكونه ، الا ما نقله الينا نبينا عليه السلام ، لأن من اتخذ انسانا من بنى آدم او عجلا صورة البقر الها من دون الله تعالى فقد انخرمت الثقة بنقله ، ولم يوثق بفعله ، والله اعلم ·

٨١/أ

٨١/ب

ومن ذلك حياة انسان بعد موته ، قال أنس : توفى شاب وله أم عجوز عمياء ، قال انس : فسجيناه وعزيناها ، فقالت : امات ابنى ؟ قلنا : نعم ، فقالت : اللهم ان كنت تعلم أنى هاجرت الى نبيك / رجاء ان تعيننى على كل شدة فلا تحمل على هذه المصيبة ، قال انس : فما برحنا حتى كشف الثوب عن وجهه ، فطعم وطعمنا معه(٣٣) ·

٨٢/أ

قال المؤلف : غاية قول المخالف : لعل الشاب لم يمت ، فنقول : ولعل الشاب المحمول على الجنازة الذى احياه المسيح كان قد أدركته سكتة فلم يمت · واعلم ان هذه الآية اعظم من آية المسيح عليه السلام ، اذ جرت على يد عجوز عمياء ضعيفة من اتباع محمد ﷺ / · ومن

٨٢/ب

(*) لم أعثر عليه بهذا النص فى كتب الصحاح ·
(٣٢) لم اعثر عليه بهذا اللفظ فى كتب الصحاح ·
(٣٣) لم اعثر عليه بهذا اللفظ فى كتب الصحاح ·

ذلك نطق الموتى وشهادتهم بنبوته ورسالته عليه السـلام ٠ قال عبد الله ابن عبيد الله الأنصارى : كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن الشماس ، وكان قتل باليمامة ، فحين ادخلناه القبر سمعناه يقول : محمد رسـول الله ، ابو بكر الصـديق ، عمر الفاروق ، الشهيد عثمان ٠ فنظرنا فاذا هو ميت ٠ وقال النعمان بن بشـير : بينما زيد بن خارجة مارا فى بعض

٨٣/أ سـكك المدينة اذ خر ميتا ، ورفع وسـجى ، فسمعوه بين / العشاءين والنسـاء يصرخن حوله ، يقول : انصتوا ، وحسر عن وجهه وقال : محمد رسـول الله النبى الأمى خاتم النبيين كان ذلك فى الكتاب الأول ٠ ثم قال : صدق صدق ٠ ثم قال : السـلام عليك يا رسـول الله ، ثم خر ميتا كما كان ٠

قال المؤلف : كيف نتلقى اخبار العاذر بالقبول ونرد اخبار اصحاب رسـول الله ﷺ ، وهم العدول ؟

٨٣/ب رد العين والجارحة والعضو الى حال صحتها بيده المباركة ﷺ / قال سعيد بن ابى وقاص وجماعة من اصحابه رضى الله عنهم : لمـا كان يوم احـد اصيبت عين ابى قتادة حتى وقعت على وجنته فردها النبى ﷺ ، فكانت احسن عينيه(٣٤) ٠

قال المؤلف عفا الله عنه : هذه الآية أعظم قدرا من آية يوسف فى مسـحه بيده على عينى أبيه يعقوب فقويتا ، كما شـهدت بذلك توراتهم، والحمد لله الذى جمع لنبينا ما تفرق من آيات الأنبياء ، والفضل بيد

٨٤/أ الله يؤتيه من يشـاء / ٠ ومن ذلك رد بصر الأعمى بعد عماه ٠ روى النسائى عن عثمان بن حنيف قال : جاء رجل اعمى الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ادع الله ان يكشف لى عن بصرى ، قـال : انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل : اللهم اسألك واتوجه اليـك بالنبى محمد ، يا محمد : انى أتوجه بك الى ربك أن يكشف عن بصرى ، شفعه فى ٠ قال : فرجع الأعمى وقد كشف الله عن بصره(٣٥) ٠

---

(٣٤) لم اعثر عليه بهذا اللفظ فى الصحاح ٠
(٣٥) لم اعثر عليه بهذا اللفظ فى الصحاح ٠

قال المؤلف / : هذه الآية فيها مزيد على آية الانجيل ، اذ قال المسيح للأعمى : انطلق الى عين سلوخا ، فاغتسل ، ففعل وابصر ، فهذه بتلك . ومن ذلك ابراء علة الاستسقاء : مرض ملاعب الأسنة بالاستسقاء ، فبعث الى رسول الله ﷺ رسولا فشكى اليه ذلك فأخذ عليه السلام قبضة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها الرسول ، فأخذها وانصرف متعجبا يرى انه قد هزىء به ، فاتى بها وقد قارب الهلاك ، فشربها الرجل فشفاه الله(٣٦) .   ٨٤/ب

قال المؤلف : قالت التوراة : ان موسى امر قومه أن يسقوا من اتهمها زوجها / بالفجور من طين يكون أسفل المذبح ، مخلوط برماد بقرة القربان ، فان كانت المراة زنت انتفخ فخذاها وبطنها وأعلن أمرها ، وان كانت بريئة سلمت من ذلك وحملت بذكر . وهذه الآية مثلها وأعجب منها قد روى العقيلى عن حبيب بن فديك أن أباه ابيضت عيناه ، فكان لا يبصر بهما شيئا ، فنفث فيهما رسول الله ﷺ فأبصر ، قال : فرأيته يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين سنة(٣٧) .   ٨٥/أ

قال المؤلف / : رأيت فى الانجيل الذى بأيديهم أن المسيح تفل على طين وجعله على عينى اعمى وقال : اذهب واغتسل فى عين سلوخا ، ففعل وابصر . فهذه بتلك . ولما كان يوم خيبر ، وقد أبطأ الفتح ، قال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه . فلما أصبح دعا عليا ، وكان أرمد ، فجىء به يقاد ، فتفل فى عينه ، فبرىء للوقت وتقدم ففتح الله على يديه /(٣٨) .   ٨٥/ب   ٨٦/أ

---

(٣٦) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى الصحاح .

(٣٧) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى الصحاح .

(٣٨) راجع صحيح البخارى ، كتاب الجهاد ، أحاديث : ٢ ، ١٠ ، ١٢١ ،١٤٣ ، وفضائل أصحاب النبى ، حديث رقم ٩ ، وصحيح مسلم ، باب فضائل الصحابة ، أحاديث : ٣٢ ـ ٣٥ ، والترمذى ، كتاب المناقب ، حديث رقم ٢٠ ، وابن ماجه ، المقدمة ، حديث رقم ١١ ، واحمد بن حنبل ، الجزء الأول ، أحاديث ٩٩٤ ، ١٨٥ ، والجزء الثانى ، حديث رقم ٣٨٤ ، والجزء الرابع ، حديث رقم ٥٢ ، والجزء الخامس ، حديث رقم ٣٣٣

قال المؤلف : فى هـذه القصة آيات بينات ، ودلائل للنبوة واضحات من ذلك : شفاء الرمد للوقت ، والاخبار عن دوام حياته وحياة الرسول ، وابطاء الفتح الى الغـد ، وأن عليـا محبوب الله ، وان الفتح لا يكون على يد غيره ، وكان كما اخبر ﷺ . وانكسرت سـاق على بن الحكم يوم الخندق ، فتفل عليها رسـول الله ﷺ ، فبرىء مكانه ولم يزل على فرسـه(٣٩) . وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوز بن عفراء ، فجاء يحمل يده الى رسول الله ﷺ / ، فبصق عليها والصقها فلصقت وصحت مثل اختها ، روى ذلك ابن وهب . ٨٦/ب

قال المؤلف : هذه والله ابهر من اليـد اليابسة التى ردها المسيح عليه السـلام مثل الأخرى صحيحة ، وأعجب من أذن ملحس التى الصقها المسـيح عليه السـلام ليلة الفزع ، فالويل لمن كذب بشىء من ذلك . واصيب شـق خبيب بن يسـاف يوم بدر حتى مال ، فرده رسول الله ﷺ بيده ونفث عليـه من ريقه ، فعـاد صحيحا(٤٠) . هـذه توامة ما فعله المسـيح بالمخلع ، حيث قال له : قم فاحمل سريرك . / ومن ذلك ابراء المجنون قال ابن عباس : جاءت امراة بصبى مجنون الى رسول الله ﷺ ، فمسـح صـدره بيده ، فذهب جنونه(٤١) . وجاءت اخرى بصبى لم يتكلم ، فأخـذ ماء وتمضمض به وغسـل يديه وامـر بسقى الصبى ، فتكلم وبرأ وعقـل عقـلا يفضل عقول الناس(٤٢) . وقال طاووس : لم يؤت النبى عليه السـلام بمجنون فوضـع يده على صدره الا عوفى من جنونه وذهب عنـه . ٨٧/أ

قال المؤلف : ان نازعنا نصرانى فى ذلك قلنـا له : ما الدليل / على أن المسـيح أخرج من مريم المجدلانية شياطينها ؟ ومن ولد الرجل الذى شـفاه من جنـونه ؟ فما أجاب به فهو لنا جواب . وكان بكف ٨٧/ب

---

(٣٩) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .
(٤٠) لم أجده بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .
(٤١) راجع مسند الدارمى ، المقدمة ، حديث رقم ٤ ، وراجع أحمد بن حنبل ، الجزء الأول ، حديث رقم ٢٥٤
(٤٢) لم أجده بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .

شرحبيل الجعفى سلعة تمنعه القبض على السيف والعنان ، فشكاها الى رسول الله ﷺ ، فما زال عليه السلام يحركها بكفه المباركة حتى رفع كفه وقد زالت فلم يبق لها اثر(٤٣) . ومن ذلك انقلاب الأعيان ببركته ﷺ . قال حماد بن سلمة : زود رسول الله ﷺ أصحابه بسقاء من ماء بعد ان اوكاه / ودعا فيه ، فلما حضرتهم الصلاة نزلوا ٨٨/أ فحلوه فوجدوه لبنا طيبا وفى فمه زبدة(٤٤) .

قال المؤلف : متى نوزعت فى صحة هذه الآية فقل لليهودى : ما الدليل على ان موسى حول الماء دما غبيطاً ، وقل للنصرانى : ما حجتك على ان المسيح قلب الماء خمرا ؟ واعلم أن آية نبينا أظهر وأطهر ، صلوات الله عليه وعلى آله واخوته من النبيين والمرسلين . ومن ذلك أن رجلا به ادرة فشكا أدرته الى رسول الله / ﷺ فأمره أن ٨٨/ب ينضحها من عين كان قد مج فيها ، ففعل الرجل وعوفى من علته(٤٥) .

قال المؤلف : هذه الآية أعظم من آية اليسع فى أمر الأبرص بالانغماس فى بحر الأردن واغرب من طرد موسى لأخته عن العسكر سبعة أيام حتى شفيت من برصها .

ومن ذلك عصمة الله له من أعدائه ، اليهود وغيرهم . وذلك أن اليهود والكهنة أنذروا به قريشا ، ووصفوه بصفته ، وعرفوهم بسطوته ، / وحضوهم على قتله ، فحماه الله وعصمه من كل سوء ٨٩/أ حتى أدى رسالة ربه .

قال المؤلف : قد سمع جماعة ليلة ولد رسول الله ﷺ يهوديا ينادى صاحبه على أطم من آطام المدينة : الا انه قد طلع فى هذه الليلة نجم احمد . وقد حكى النصارى فى انجيلهم أن المجوس جاءوا فأخبروا بمولد المسيح وطلوع نجمه ورؤيتهم له فى بيت لحم . وأنى لهم بتحقيق

---

(٤٣) لم اجده بهذا اللفظ فى أحد الصحاح .
(٤٤) لم اعثر عليه بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .
(٤٥) لم اعثر عليه بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .

تلك الحكاية عن المجوس الا بالطريق التى ثبتت بها اخبارنا ؟ وقد أخبر
٨٩/ب النصارى / أن المجوس لما أخبروا بذلك هربت ام المسيح به مع
خطيبها يوسف الى مصر من خوف هيرودس فأما محمد ﷺ فلم يهرب
به ، بل تكفل الله بحفظه وصونه . وقد جهد الأعداء جهدهم حتى
بلغ رسالة ربه واعلى دينه على كل دين ، فعاش صلوات الله عليه
حميدا ، وتوفاه الله سعيدا ، وما هزم ولا غلب ، ولا قتل ولا صلب .
فأما أنتم فزعمتم ان المسيح هبت به أمه من خوف اليهود الى مصر ،
٩٠/أ ولما عاد الى الناصرة من ارض الشام لم تزل اليهود تواثبه وتغالبه /
وترميه بالخنا وبنوة الزنا ، الى أن ظفروا به ، فبالغوا فى اهانته ،
ثم قتلوه ظمآنا ، وصلبوه عريانا ، وقرنوه باللصوص ، وأهانوه على
الخصوص ، هذا وهو فى سبطه ، وبين أقاربه ورهطه ، وذلك شيء
لم يسمع الا منكم ، ولا يؤثر الا عنكم ، فاما نبينا محمد ﷺ ، فالمأثور
من سيرته انه نشأ يتيما من ابويه جميعا ، مخالفا لرهطه ، مفارقا
لقومه ، مباينا لأهل زمانه ، من عباد الأوثان واليهود والمجوس
والصابئة وسائر الطوائف ، فتولاه الله بالطافه ، فلم يضره كون
٩٠/ب العالم على / خلافه ، فقهر الملوك والجبابرة ، وكسر الأكاسرة ، وقصر
القياصرة ، وأباد من اليهود الافا فى ساعة واحدة ، ولم يزل أمره
يعلو ، وملته النفيسة تسمو ، حتى طبق دينه أكناف الأرض ، وهذه
دولته وشريعته متصلة بيوم العرض .

ومن ذلك امداد الله بالملائكة فى حروبه وحضورها بين يديه لخدمته
وتأنيسه . وقد رأى الملائكة جماعة من أصحابه بحضرته ، ورأوا
٩١/أ جبريل وهو يسأله عن الاسلام والايمان رأى ذلك ابن / عباس وأسامة
ابن زيد ، وسعد ، ورأت الصحابة جبريل وميكائيل عليهم ثياب بيض
عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره . وقد كانت الملائكة يصافحون
عمران بن حصين من أصحابه ، وذلك كثير ، وانما نحن اقتصرنا
واختصرنا .

قال المؤلف : ذكرت التوراة ان الملك كان يأتى ابراهيم ولوطا

وغيرهما ، وان الملك كان يحمل عمود الغمام لبنى اسرائيل . وحكى الانجيل ان بطرس وابنى زبدى راوا الملائكة اتت الى المسيح / وهو بالجبل . فليت شعرى ، ما طريق تصحيح هذه الدعاوى اذا ردوا هذه الأخبار الصحيحة المستفيضة ، فان النقل طريق يعتمد عليه ، فعلام يهلكون انفسهم بكفرهم بهذا النبى الجليل القدر الذى أربت آياته على آيات اخوانه المتقدمين من النبيين والمرسلين ، صلوات الله عليهم اجمعين ؟ ٩١/ب

ومن ذلك ما اجراه الله تعالى على ايدى اصحابه واتباعه من الكرامة فى حياته وبعد وفاته ، كالمشى على الماء ، والسير فى الهواء ، وطى الطريق البعيدة / فى اقرب مسافة ، والتسلط على السباع وكبار الأفاعى ، وشفاء المرضى ، واستخراج المياه من الأرض القفر فى المعاطش واحضار الزاد حيث لا زاد ، واستحضار الذهب والفضة من الغيب ، وفهم كلام العجماوات ، وشق البحار ، والتسلط على الجبابرة والملوك ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . ولقد انتهى جيش من المسلمين فى زمان عمر(٤٦) وعليهم العلاء الحضرمى اميرا فتحرز منهم العدو واعتصم بدجلة ، فخطبهم العلاء وقال : ان الله ، وله الحمد ، قد أراكم من آياته فى / البر ما تعتبرون به فى البحر فانهضوا الى عدوكم ، واعترضوا البحر اليهم ، فان الله قد جمعهم لكم بدارين ، فقالوا : نفعل ، وبالله العون ، فارتحلوا بأجمعهم الى ان اتوا ساحل دجلة ، ودعوا بأجمعهم وقالوا : يا أرحم الراحمين ، يا كريم يا حليم ، يا احد يا صمد ، يا حى يا قيوم ، يا محيى الموتى ، لا اله الا انت يا ربنا ، ثم دخلوا البحر ، فجازوا غمره باذن الله ، يمشون على متن رمله مشيا ، ما يغمر اخفاف الابل وان بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة للسفن فى بعض الأحوال ، / والتقوا بالعدو ، فما تركوا منه مخبرا ، وسبوا الذرارى ، واستاقوا الأموال ، فبلغ نقل الفارس ستة آلاف . ١/٩٢ ٩٢/ب ١/٩٣

---

(٤٦) يبدو ان بعد قوله : « فى زمان عمر » كلمة ساقطة ، ولعلها كلمة « الى دارين » الآتى ذكرها بعد ذلك .

فقال شاعرهم ، وهو الخفيف بن المنذر :

ألم تر أن الله زلل بحره وأنزل بالكفار احدى الجلائل
دعونا الذى شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل

وقال آخرون : غزونا مع العلاء بين الحضرمى دارين ، والبحر بيننا وبين العدو ، فقال : يا على ياحليم ، ياعلى يا عظيم ، انا عبيدك ، وفى سبيلك نقاتل عدوك / ، اللهم اجعل لنا اليهم سبيلا ، واقتحم البحر ، فخضناه ، ما يبلغ لبودنا ، وان الدجلة لتقذف الزبد . فهذه نبذة من معجزاته ، وكرامات اتباعه ، ﷺ .

٩٣/ب

وأما بيان الثالث ، وهو تنصيص الأنبياء عليه وعلى شريعته وعلى أمته ، فها نحن نتلوا عليكم من كتبهم ما لا يستطيعون (٤٧) جحده ولا رده .

فمن ذلك أن يعقوب لما احتضر بمصر احضر أولاده واوصاهم ودعا لهم واحدا واحدا / واحدا ، فلما انتهى الى ابنه يهوذا قال : الا وانه نبى مرسل وملك ومسلط [لا](٤٨) يعدم سبط يهوذا نبى مرسل ، وملك مسلط ، يأتى الذى له الملك . وفى اخرى : الكل ـ يعنى الملك والنبوة ـ ينتظر الشعوب(٤٩) . فهذا الذى نص عليه يعقوب عليه السلام بأن له الملك والنبوة هو محمد رسول الله . ولا يصح أن يكون موسى، اذ اليهود لا يدعون ذلك ، ولا يجوز أن يكون المسيح ، لقوله فى الانجيل : انى لم ارسل الا الى الخراف الضالة من بيت اسرائيل(٥٠) فأخبر أن دعوته خاصة وليست عامة . / وقال المسيح فى موضع آخر من الانجيل : انى عارف لرعيتى وهى تعرفنى(٥١) . وذلك تصريح من المسيح بأن رسالته الى من ضل من بنى اسرائيل لا غير . فأما محمد ﷺ فانه مبعوث

٩٤/أ

٩٤/ب

---

(٤٧) « يستطيعون » فى الأصل « تستطيعون » ولعل الصواب ما ذكرنا ، فالحديث عن النصارى .
(٤٨) « لا » ساقطة فى الأصل .
(٤٩) راجع سفر التكوين ، اصحاح ٤٩ ، عد ٧ ـ ١٠
(٥٠) متى ، اصحاح ١٥ ، عد ٢٤ .
(٥١) يوحنا ، اصحاح ١٠ ، عد ١٤ .

الى كل الشعوب كما ذكر يعقوب عليه السلام . قال الله تعالى فى حقه : «وما أرسلناك الا كافة للناس»(٥٢) . وقال محمد ﷺ:« بعثت الى الأحمر والأسود » . فهذا نص التوراة ، ولا بد من الوفاء به . ولم يأت من يصلح تنزيله عليه سوى رسول الله صلى الله / عليه وسلم . فهذه بشرى صحيحة، ودلالة صريحة بسيدنا رسول الله ﷺ . ١/٩٥

البشرى الثانية : قالت التوراة فى السفر الأول منها : ان الله تعالى قال لابراهيم : ان فى هذا العام يولد لك ولد اسمه اسحاق . فقال ابراهيم : ليت اسماعيل هذا يحيا بين يديك ، يحمدك ، فقال الله تعالى : قد استجبت لك فى اسماعيل ، وانى اباركه وأنميه وأعظمه جدا جدا بما قد استجبت فيه ، وانى أصيره الى أمة كبيرة ، وأعطيه شعبا جليلا(٥٣) والمراد بهذه المواعيد / الآتى الخارج من نسله ، وهو محمد ﷺ . ولم يأت من صلب اسماعيل من بورك ويومن وعظم جدا جدا ، وصار الى أمة كبيرة ، واعطى شعبا جليلا سوى رسول الله ﷺ ، فأمته الذين دوخوا الآفاق ، واربوا فى الكثرة والنماء والبركة على نسل اسحاق . ٩٥/ب

البشرى الثالثة من التوراة : قال فى التوراة ، فى السفر الأول أيضا : ان الملك ظهر لهاجر ، أم اسماعيل ، فقال : يا هاجر : من اين اقبلت والى أين تريدين ؟ فلما شرحت له الحال ، قال لها : ارجعى ، فانى / سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة وها أنت تحبلين وتلدين ابنا تسميه اسماعيل ، لأن الله قد سمع تذللك وخضوعك ، وولدك يكون وحشى الناس ، وتكون يده على الكل ، ويد الكل به(٥٤) . فهذه بشارة شافه الله بها هاجر ، ولاطفها أتم ملاطفة ، وأخبرها أن يد ابنها على يد كل الخلائق ، وان كلمته العليا ، وكلمة من سواه السفلى ، وذلك لم يتم الا على يد رسول الله ﷺ . ١/٩٦

البشرى الرابعة : قالت التوراة فى السفر الأول أيضا / : ان الله قال ٩٦/ب

---

(٥٢) سبأ : ٢٨

(٥٣) سفر التكوين ، اصحاح ١٧ ، عد ١٥ ـ ٢٠ واللفظ مختلف .

(٥٤) سفر التكوين ، اصحاح ٢١ ، عد ١٧ ، ١٨ .

لابراهيم انى جاعل ابنك اسماعيل لأمة عظيمة ، اذ هو من ذرعك(٥٥)، والمراد به محمد ﷺ ، فانه ابن قيدار بن اسماعيل .

البشرى الخامسة : قالت التوراة فى السفر الخامس منها : قال موسى : اقبل الله من سيناء ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران ، معه ربوات الأطهار عن يمينه(٥٦) . فسيناء هو الجبل الذى كلم الله فيه موسى ، وساعير هو جبل الجليل الذى كان المسيح يتعبد فيه بالشام ، وفاران هو الجبل الذى كان رسول الله ﷺ يتعبد فيه . / ٩٧/أ وقد خصت التوراة نبينا محمدا ﷺ بما لم تخص به موسى والمسيح ، حيث قال : معه ربوات الاطهار عن يمينه ، والربوات الملائكة . ولم يؤيد بالملائكة من ولد اسماعيل الا رسول الله ﷺ .

البشرى السادسة : قالت التوراة فى السفر الخامس منها : انى سأقيم لبنى اسرائيل نبيا من اخوتهم مثلك ، اجعل كلامى فى فيه ، ويقول لهم ما آمرهم به ، والذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى لا يتكلم الا باسمى أنا انتقم منه ومن سبطه(٥٧) ، وذلك / ٩٧/ب النبى المقام هو النبى محمد ﷺ ، ولا يجوز أن يكون هارون ، لأنه مات فى حياة موسى وعاش موسى بعده ، ولا يجوز أن يكون يوشع لأن يوشع قد نبأه الله فى زمان موسى ، ولا يجوز أن يكون عيسى بالاجماع ، لأنه عند النصارى اله ، والنبى الموعود به انما دعوته بعد موسى ، كما قالت التوراة ، ولم يتم ذلك الا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف : وهذه آثار النقمة على من فارقه لائحة ، وآثار النعمة على من وافقه واضحة / . ٩٨/أ

البشرى السابعة : قالت التوراة فى هذا السفر : قال موسى لبنى اسرائيل : « لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين ، فسيقيم لكم الرب نبيا من اخوتكم مثلى ، فأطيعوا ذلك النبى »(٥٨) .

---

(٥٥) سفر التكوين ، اصحاح ١٧ ، عد ١٥ ــ ٢٠
(٥٦) سفر التثنية ، اصحاح ٣٣ ، عد ٢٢ .
(٥٧) سفر التثنية ، اصحاح ١٧ ، عد ١٥ .
(٥٨) سفر التثنية ، اصحاح ١٨ ، عد ١٠ ــ ١٥ .

قال المؤلف : لا يجوز ان يكون ذلك النبى المنتظر من بنى اسرائيل اصلا ، لقول التوراة فى آخر ورقة منها : انه لم يقم من بنى اسرائيل بعد موسى مثل موسى الذى عرف الله تعالى وجها قبل وجه(٥٩) • واذا انتفى ان يكون من بنى اسرائيل فاخوة بنى اسرائيل / هم ولد اسماعيل ولم يأت من بنى اسماعيل مثل موسى سوى رسول الله ﷺ • فهذا بعض ما فى التوراة من البشرى بمحمد ﷺ •   ٩٨/ب

واما ما فى مزامير داوود من ذلك ، قال الله فى مزموره : سبحوا الله تسبيحا جديدا • ليفرح اسرائيل بخالقه ، من اجل ان الله اصطفى له امته ، واعطاه النصر ، وسدد الصالحين منهم بالكرامة ، يسبحون الله على مضاجعهم ، ويكبرونه بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم / من الأمم الذين لا يعبدونه(٦٠) •   ٩٩/أ

قال المؤلف : هذه صفة محمد ﷺ وأمته ، فهم الذين يتقلدون السيوف ، ويرفعون اصواتهم بالتسبيح والتكبير فى الحج ، ويتلون القرآن التلاوة الجديدة ، وهم اصحاب الكرامات ، كما قدمناه وحكيناه عنهم • وقال ايضا فى المزامير : تقلد ايها الجبار السيف ، فان البهاء لوجهك ، والحمد الغالب عليك ، اركب كلمة الحق وسمت التأله فان ناموسك وشرائعك/ مقرونة بهيبة يمينك ، وسهامك مسنونة ، والأمم يخرون تحتك(٦١) •   ٩٩/ب

قال المؤلف : ليس متقلد السيف من الأنبياء عليهم السلام سوى محمد ﷺ ، وهو الذى خرت الأمم تحته ، وقرنت شرائعه بالهيبة ، فاما القبول او الجزية او السيف •

وقد كان عليه السلام جبارا على الكافرين ، رحيما بالمؤمنين • وقال

---

(٥٩) سفر التثنية ، اصحاح ٣٤ ، عدد ١٠ •
(٦٠) لم اعثر على هذا النص فى المزامير •
(٦١) مزمور ٤٥ (٤٤) ، عدد ٤ - ٨ •

١٠٠/أ داوود فى مزمور آخر : ان ربنا عظيم محمود جدا ، وفى قرية الهنـا / قدوس ، ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا(٦٢) ٠

قال المؤلف : فهذا نبى الله داوود قد نص على نبينا صريحا ، وسمى بلده قرية ، وشهد ان كلمته تعم أهل الأرض ٠ وقال داوود عليه السلام فى مزمور آخر : لترتاح البوادى وقراها ولتسر ارض قيدار مرحا ، ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ، ويدفعوا تسابيحه فى الجزائر(٦٣) ٠

١٠٠/ب قال المؤلف : ليت شعرى ، لمن البوادى غير أمة محمد ﷺ ؟ / ومن قيدار سوى ولد اسماعيل ، جد هذا النبى العربى ﷺ ؟ ومن سكان الكهوف والجبال سوى العرب ؟ وقال داوود عليه السلام فى صفة محمد ﷺ : ويحوز من البحر الى البحر ، ومن لدن الأنهار الى منقطع الأرض، تخر أهل الجزائر بين يديه ، ويلحس أعداءه التراب ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، ويخلص المضطهد البائس بمن هو اقوى منه وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويروءف بالمساكين والضعفاء ، ويصلى

١٠١/أ عليه / ويبارك فى كل حين ٠

قال المؤلف : هذه صفات محمد ﷺ ، فما يعلم من ينزل عليه هذا الكلام الحق والخبر الصدق سواه ٠ فهذا بعض ما فى المزامير من التنويه بمحمد ﷺ ٠

واما نبوة اشعياء(٦٤) عليه السلام فقال فيها : قيل لى : قم نظارا فانظر ، ماذا ترى ؟ فقلت : ارى راكبين مقبلين ، احدهما على حمار

١٠١/ب والآخر على جمل ، يقول احدهما للآخر ، سقطت بابل / واصنامها للمنخر(٦٥) ٠

---

(٦٢) لم أعثر عليه فى المزامير ٠

(٦٣) راجع أشعياء ، اصحاح ٤٢ ، عد ١١ ، ١٢ ٠

(٦٤) « أشعياء » كذا فى الهامش ، تصحيحا لكلمة « أشيعا » التى درج الناسخ على ذكرها فى صلب الكتاب ، وسنثبتها مصححة كما فى الهامش كلما جاء ذكر ذلك النبى ٠

(٦٥) نبوة أشعياء ، اصحاح ٢١ ، عد ٧ ـ ١٠ ٠

قال المؤلف : فراكب الحمار هو المسيح ، وراكب الجمل هو محمد عليهما السلام ، ولمحمد سقطت أصنام بابل • وقال أشعياء مثنيا على رسول الله ﷺ : تفهمى أيتها الأمم ، ان الرب أهاب بى من بعيد ، وذكر اسمى وأنا فى الرحم ، وحاطنى بظل يمينه ، وجعلنى كالسهم المختار من كنانته ، وقربنى لسره ، وقال لى : انت عبدى ، فصرفى وعدلى قام الرب ، وأعمالى بين يديه ، وصيرت محمدا عند الرب ، فبالهى حولى / وقوتى(٦٦) • وذلك تصريح باسم محمد ﷺ • ١/١٠٢ وقال اشعياء عليه السلام عن الله تعالى : عبدى الذى يرضى نفسى ، أعطيه كلامى فى الأمم عدلى ، ويوصيهم بالوصايا • لا يضحك ولا يصخب ، يفتح العيون العور ، ويسمع الآذان الصم ، ويحيى القلوب الميتة ، وما أعطيه لا أعطيه لأحد • يحمد الله حمدا حديثا ، يأتى من أفضل الأرض فتفرح به البرية وسكانها ، ويوحدون الله على كل شرف ، ويعظمونه على كل رابية • لا يضعف ولا يغلب ، ولا يميل الى الهوى ، ولا / يذل الصالحين الذين هم كالقصب الضعيف ، بل يقوى ١٠٢/ب الصديقين المتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفأ ، واثر سلطانه على كتفه(٦٧) • وقد نص نبى الله اشعياء فى نبوته هذه على اسم رسول الله ﷺ وعلى سيرته وطريقته نصا لا خفاء به على من قضى الله له بالرشاد • وقال أشعياء عليه السلام : قال الله : يا آل ابراهيم الذى قويته ودعوته من أقاصى البلاد ، لا تخف ولا ترهب وأنا معك ، ويدى العزيزة مهدت لك وجعلتك مثل الجرجر الحديد يدق ما يأتى عليه دقا ، ويسحقه / ١/١٠٣ سحقا ، يجعله هشيما تلوى به هوج الرياح ، وأنت تبتهج وترتاح وتكون محمدا(٦٨) •

قال المؤلف : ما أكثر ما نص هذا النبى الجليل القدر على اسم محمد ﷺ •

---

(٦٦) نبوة أشعياء ، اصحاح ٤٩ ، عد ٥٢ (ب) •
(٦٧) راجع نبوة أشعياء ، اصحاح ٤٢
(٦٨) راجع نبوة أشعياء ، اصحاح ٤١ ، عد ٨ - ١٦ ، وليس فيه ذكر محمد •

وقال أشعياء عليه السلام : قال الله تعالى : انى جعلت اسمك محمدا يا محمد قدوس الرب ، اسمك موجود من الأبد(٦٩) . فهل بقى بعد تصريح أشعياء للزائغ مقال ، أو لباغ مجال ؟ فهذا بعض ما فى نبوة أشعياء ، وقد استوعبت ذلك فى كتابنا الكبير / ١٠٣/ب

وقال ميخا النبى فى نبوته ، وذكر الكعبة وحج الناس اليها فى آخر الزمان : انه يكون فى آخر الأيام بيت الرب مبنيا على قلل الجبال وفى أرفع رؤوس العوالى ، تأتيه جميع الأمم ، يقولون : تعالوا نطلع الى جبل الرب(٧٠) .

قال المؤلف : ان زعم أهل الكتاب أن ذلك بيت المقدس قيل لهم : فالبيت كان فى الزمان الأول ، وانما قال هـذا النبى : انه يكون فى آخر الأيام ، والا فالبيت المقدس كان معظما فى / زمان ميخا ، والنبى لا يتنبأ على شىء حاضر معه ، وانما يتنبأ على شىء لم يأت بعد . ١٠٤/أ

وقال حبقوق ، وسمى محمدا مرتين فى نبوته : جاء الله من التيمن والقدس من جبال فاران . لقد اضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الأرض من حمده . شعاع منظره مثل النور يحفظ بلده بعزه ، تسير المنايا امامه ، وتصحب سباع الطير اجناده . قام فمسح الأرض فتضعضت له الجبال القديمة ، وانخفضت الروابى ، وتزعزعت ستور أهل الأرض . ولقد حاز المدائن القديمة / ، ثم قال حبقوق : ستنزغ فى قسيك أعراقا ، وترتوى السـهام بأمرك يا محمد(٧١) . فهذا رحمكم الله ، نبى كريم قد أعلن باسم رسـول الله ﷺ ولم يجمجم ، وصرح به مرتين ولم يغمغم ، فمن حاول صرف ذلك عن رسـول الله ﷺ فقد حاول ممتنعا . ١٠٤/ب

وقال ارمياء فى نبوته ، وأراد بها محمدا ﷺ : قال الله تعالى : من قبل أن أصورك عرفتك ، ومن قبل أن تخرج من الرحم قدستك

---

(٦٩) لم أعثر على هذا النص فى نبوة أشعياء .

(٧٠) نبوة ميخا ، اصحاح ٤ ، عد ١ ، ٢

(٧١) نبوة حبقوق ، اصحاح ٣ ، عد ٣ وما بعده ، وليس فيه ذكر محمـد .

وجعلتك / نبيا ، لأنك تصدع بكل ما آمرك به ٠ كل من ارسلتك اليه ١٠٥/أ تتوجه وانا معك ٠ افرغت كلامى فى فمك افراغا ٠ فانظر ، قد سلطتك اليوم على الأمم والممالك ، لتنسف وتهدم وتبنى وتغرس ما رايت(٧٢) ٠

قال المؤلف : قول الله فى نبوة ارمياء : افرغت كلامى فى فمك افراغا ، نظير قول الله فى التوراة لموسى : انى ساقيم لبنى اسرائيل نبيا من اخوتهم مثلك ، اجعل كلامى فى فيه ٠ فهذه آيات ظاهرة وبشائر متضافرة ، فسبحان من بخس اليهود والنصارى حظهم من الايمان بها والتمسك / باسبابها ٠ ١٠٥/ب

وقال ارمياء عليه السلام مثنيا على امة محمد ﷺ : اجعل كلامى فى قلوبهم ، واكون لهم الها ، ويكونون لى شعبا ، ولا يحتاج الرجل ان يتعلم من غيره ، بل يصير الكل عارفين بى ، صغيرهم وكبيرهم ، وانا اغفر ذنوبهم ، ولا افزعهم بخطاياهم(٧٣) ٠

قال المؤلف : هذه والله صفة محمد ﷺ ، فما نعلم امة تقرأ كتاب ربها عن ظهر قلب من الملل كلها سوى هذه الأمة المحمدية ٠ / فأما من ١٠٦/أ عداها فانهم يقراون من الصحف ، ويسمعون من غيرهم ٠

وقال دانيال لبختنصر ، وقد قص عليه رؤياه : رايت أيها الملك صنما عظيما بين يديك قائما ، راسه من ذهب ، وساعداه من الفضة ، وبطنه وفخذاه من النحاس ، وساقاه من الحديد ، ورجلاه من خزف ، ورايت حجرا لم تقطعه يد انسان قد جاء وصك ذلك الصنم ، فتفتت وتلاشى وعاد رفاتا ، ثم نسفته الرياح فذهب وتحول ذلك الحجر فصار جبلا عظيما حتى ملأ الأرض كلها ٠ قال بختنصر / : فما تاويل ذلك ؟ ١٠٦/ب قال دانيال : انت ايها الملك الراس الذى رايت من ذهب ، وسيقوم بعدك ولداك اللذان رايت من الفضة ، وهما دونك ، وتقوم بعدهما مملكة اخرى ، هى دونها ، وهى التى تشبه النحاس ، والمملكة الرابعة تكون

---

(٧٢) نبوة ارمياء ، اصحاح ١ ، عد ١ ــ ٥
(٧٣) لم اعثر على هذا النص فى نبوة ارمياء ٠

قوية مثل الحديد الذى يدق كل شىء ، والمملكة التى بعدها تكون ضعيفة مثل الخزف ، وتكون كلمتها مشتتة . وأما الحجر الذى رأيته قد صك الصنم ففتته ، فهو نبى يقيمه الله ، اله السماء والأرض ، فى آخر / الزمان من قبيلة شريفة قوية ، فيدق ملوك الأرض وأممها حتى تمتلأ الأرض من أمته ، ويدوم سلطان ذلك النبى الى انقضاء الدنيا(٧٤) .

١٠٧/أ

قال المؤلف : فقد شهد دانيال النبى عليه السلام بأن محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء ، وان دولته خاتمة الدول ، وصدق بنبوته هذه ما تقدم من النبوات .

وقال دانيال أيضا فى نبوته : سألت الله وتضرعت اليه أن يبين لى ما يكون من بنى اسرائيل ، وهل يتوب عليهم / ويرد عليهم ملكهم ، ويبعث فيهم الأنبياء ، أم يجعل ذلك فى غيرهم ؟ قال دانيال : فظهر لى الملك فى صورة شاب حسن الوجه فقال : السلام عليك يا دانيال ، ان الله يقول : ان بنى اسرائيل عصونى وتمردوا على ، وعبدوا من دونى آلهة أخرى ، وصاروا من بعد العلم الى الجهل ، ومن بعد الصدق الى الكذب ، فسلط الله عليهم بختنصر ، فقتل رجالهم وسبى ذراريهم ، وهدم بيت مقدسهم ، وحرق كتبهم ، وكذلك فعل من بعده / بهم ، وأنا غير راض عنهم ، ولا يزالون فى سخطى حتى أبعث مسيحى ، ابن العذراء البتول ، فأختم عليهم عند ذلك باللعن والسخط ، فلا يزالون ملعونين ، عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث من بنى اسماعيل الذى بشرت به هاجر ، فأرسلت اليها ملائكتى فبشروها به فأوحى الى ذلك النبى ، وأعلمه السيمياء ، وأزينه بالتقوى ، وأجعل البر شعاره ، والتقوى ضميره ، والصدق قوله ، والوفاء طبيعته ، والقصد سيرته ، والرشد نسبته ، وأخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتاب ، وأسرى به الى ، وأرقيه من سماء / الى سماء حتى يعلو ، وأدنيه وأسلم عليه ،

١٠٧/ب

١٠٨/أ

١٠٨/ب

---

(٧٤) راجع نبوة دانيال ، اصحاح ٢ ، عد ٣١ ــ ٤٤

واوحى اليه ثم ارده الى عبادى ، حافظا لما استودع ، صادعا بما امر ، يدعو الى توحيدى باللين من القول والموعظة الحسنة ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، رؤوف بمن والاه ، رحيم بمن آمن به ، خشن على من عاداه(٧٥) ٠

قال المؤلف : ثم سرد(٧٦) قصة رسول الله ﷺ وشانه وشان امته من بعده الى قيام القيامة ، ﷺ ٠ وهـذا الكتاب فى يد اليهود والنصارى يقراونه ، وفيه ما ذكرنا / من صفته ﷺ ، ولكن الحسد ١٠٩/أ وفساد المربى صارفان عن السعادة ، وصادفان عن النجاة ٠

* * *

(٧٥) لم اعثر على هذا النص فى نبوة دانيال ٠

(٧٦) « ثم سرد » كلام من المؤلف يريد به : ثم سرد دانيال فى نبوته ٠٠٠ الخ ٠

بشائر الانجيل

قال يوحنا : قال المسيح : ان الفارقليط ، روح الحق الذى ارسله ابى ، هو يعلمكم كل شىء(١) . وقال يوحنا ايضا : قال المسيح : ان كنتم تحبون الله فاحفظوا وصاياى وانا اطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا آخر ، يبيت معكم الى الأبد(٢) . وقال يوحنا ايضا : اذا جاء الفارقليط الذى يرسله ابى هو يشهد / لى(٣) . وقال يوحنا أيضا : قال المسيح :

١٠٩/ب ان خيرا لكم أن أنطلق ، فانى ان لم أذهب لم يأتكم الفارقليط ، فاذا جاء فهو يوبخ العالم على الخطيئة(٤) .

قال المؤلف : اختلف فى تفسير لفظة الفارقليط على أربعة اقوال ، فقيل : الحامد ، وقيل : الحماد ، وقيل : المعز ، وقيل : المخلص ، وتلك صفات محمد ﷺ فهو الحامد والحماد والمعز(٥) لدين الله والمخلص من دركات النيران . قال رسول الله ﷺ : « أنا آخذ بحجزكم

١١٠/أ وأنتم تقحمون فى النار » . وهو روح الحق الذى ارسله إلله ، وعلم / الناس كل شىء يحتاجون اليه من أمر دينهم ودنياهم ، وهو النبى الذى ثبت شرعه الى الأبد .

وقال يوحنا : قالت امراة من أولاد يعقوب للمسيح : ياسيدنا ، آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تزعمون أنه أورشليم ؟ فقال لها

---

(١) يوحنا ، اصحاح ١٤ ، عد ٢٦
(٢) يوحنا ، اصحاح ١٤ ، عد ١٦
(٣) يوحنا ، اصحاح ١٥ ، عد ٢٦
(٤) يوحنا ، اصحاح ١٦ ، عد ٧ ، ٨
(٥) تفسير « الفارقليط » بالمعز هو تفسير انفرد به المؤلف ، والذى ذهب اليه غيره أن معنى الفارقليط هو المعزى ، فلعل المؤلف قد نقل كلمة « المعزى » محرفة من كتاب آخر ، فاضطر الى تاويلها على النحو المذكور .

المسيح : ياهذه آمتى ، فانه ستاتى ساعة لا فى هـذا الجبل ولا فى اورشليم يسجدون للأب(٦) ٠

قال المؤلف : هـذا المسيح عليه السلام ينوه بأمر الكعبة ، ويشهد بأن السجود الى جهتها سجود لله ، وان / التوجه اليها ناسخ لما عداه ٠ ١١٠/ب

وقال المسيح فى الانجيل لمن حضره : الحق اقول لكم : انه سياتى قوم من المشرق والمغرب فيتكئون مع ابراهيم واسحاق ويعقوب ويخرج بنو الملكوت الى الظلمة البرانية ، هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان(٧) ٠

قال المؤلف : ذلك من المسيح تنصيص على هـذا النبى [واصحابه](٨) ، فهم الذين جاءوا من المشرق والمغرب ، وقد قال الله فيهم : « **ان آولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهـذا / النبى والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين** »(٩) ٠ ١١١/أ

وقال متى التلميذ : قال المسيح : ان ايلياء ياتى ويعلمكم كل شىء(١٠) ، ولم يأت من علم الناس كل شىء الا رسول الله ﷺ ٠ وايلياء عندهم هو النبى كائنا من كان ٠ وقال يوحنا التلميذ : قال المسيح : ان اركون العالم سياتى ، وليس الى شىء(١١) ٠

قال المؤلف : الأركون هو العظيم القدر ، وهو الفارقليط المقدم ذكره ٠ يشير المسيح عليه السلام الى / ان مجىء رسول الله ﷺ ١١١/ب لم يدع لغيره من الأنبياء شرعا الا نسخته شريعته ٠

---

(٦) يوحنا ، اصحاح ٤ ، عد ١٩ ، ٢٠

(٧) متى ، اصحاح ٨ ، عد ١١ ، ١٢

(٨) « واصحابه » ليست فى الأصل ، وقد أضفناها لأن السياق يقتضيها ٠

(٩) آل عمران : ٦٨

(١٠) راجع متى ، اصحاح ١١ ، عد ١٤ ، ومتى ، اصحاح ١٧ ، عد ١١

(١١) لم اعثر على هـذا النص ٠

وقال متى التلميذ : قال المسيح : الم تقراوا ان الحجر المتروك صار رأسا للزاوية ، من عند الله كان هذا وهو عجيب عندنا ، وكذلك اقول لكم : ان ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع الى أمة اخرى تأكل ثمرتها ، ومن سقط على هذا الحجر فيشدخ ، وكل من سقط هو عليه هو يمحقه(١٢) ٠

١١٢/أ قال المؤلف : ليت شعرى ، من هى هذه الأمة التى دفع اليها / ملكوت الله فأكلت ثمرتها بعد المسيح غير أمة محمد ﷺ ؟ ومن هذا الذى كل من غزاة انشدخ ، وكل من تولى هو غزوه وقتاله محقه وابادہ سوى هذ االنبى وأمته ؟ وان زعم النصارى أن المراد بذلك المسيح ، قلنا : ما هكذا أخبرتمونا عن مسيحكم ، بل الذى حكيتم لنا أن شرذمة من خساس اليهود وقعوا على المذكور فشدخوه ، ثم قتلوه شر فتلة وصلبوه ، وقد ثبتت نبوة سيدنا محمد ﷺ بالقواطع الدامغة والحجج المقبولة

١١٢/ب البالغة ، واوضحنا ذلك بدليل من التوراة / والنبوات والانجيل ، ولم يعدل ذلك عن المنهج القويم ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ٠

فان قيل : قد حذرنا المسيح من الأنبياء الكذبة الذين يلبسون لباس الخراف وهم فى الباطن بصور الذئاب الضارية ، ثم وصفهم فقال : ومن قبل ثمارهم تعرفونهم ٠ قلنا : هذا تصريح من المسيح عليه السلام بمجيء نبى صادق ، اذ خص التحذير بالكذبة ، الا تراه كيف جعل ثمارهم وما يدعون اليه أمارة على صحة امرهم ٠ ولو كان الأمر

١١٣/أ على ما توهمه / مورد السؤال لقال : لا نبى بعدى ، ولم يحوجهم للاستدلال بثمارهم على كذبهم ، والا فقد نص على مجيء النبى الصادق فى انجيله ، كما حكيناه ٠ ثم الكاذب من لم يقم على نبوته دليل ، وجاء محمد ﷺ بالأدلة المقبولة ، والمعجزات التى هى بلسان التواتر منقولة ، كانشقاق القمر ، وتسليم الحجر ، واستجابة الشجر ، وتطهير الأبرص والمجذوم ، وازالة الأدرة والجنون ، وكلام الذراع ، وخسف

---

(١٢) متى ، اصحاح ٢١ ، عد ٤٢ ، ٤٣

الأرض بعدوه عند الاتباع ، وتفجير الصلد بالماء ، ونطق العجماء ، والاخبار / عن الغيوب ، وعلم ما اشتملت عليه خبايا القلوب ، والنصر ١١٣/ب فى الحروب ٠

وقال المسيح عليه السلام : من قبل ثمارهم تعرفونهم(١٣) ٠
وقد علم المخالف والموالف أن محمدا ﷺ لم تثمر شجرته عبادة غير الله ، ولم يشرك مع الله غيره ، ولا جعل له ندا من خلقه ولا ولدا ، ولا قال لأمته اعبدوا الهين اثنين ولا ثالث ثلاثة ، ولا عبد رجلا ولا عجلا ولا كوكبا ، بل دعا الى عبادة اله ابراهيم ، اله واحد ، لا اله الا هو ،وأخلص لله وحده ، ونزهه / عن النقائص والآفات ، والحلول فى المحدثات ، ١١٤/أ وجاء بكتاب من عند الله أمر فيه بطاعة الله ، ونهى عن معصيته ، وزهد فى الدنيا ورغب فى الأخرى ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ؛ وأمر ببر الوالدين ، وصلة الرحم ، وحفظ الجار ، وفرض الصدقات ، وأمر بالصوم والصلاة ، وحث على مكارم الأخلاق ، ومحاسن العادات ، ثم كسر الأصنام ، وعطل الأوثان ، واخمد النيران ، وأعلن بالآذان ٠
فهذه ثمار سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، / التى صارت ١١٤/ب أعلق به من الغرام ببنى عذرة ، والاقدام بابن أبى صفرة ٠ والأمر فى ذلك مستغن عن كثرة الاستدلال ، وأوضح من أن يعلن ويقال ٠ والله المسؤول المحمود أن يجعل لوجهه بذل هذا المجهود ، ويجزل أجرنا من كل خير مقصود ، ويحشرنا فى زمرة صاحب اللواء المعقود ، ويوردنا حوضه المورود ، انه غفور حليم ودود ٠

« تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه »

***

---

(١٣) متى ، اصحاح ٧ ، عد ١٩

أهم المراجع

أولا - مراجع عامة :

١ - القرآن الكريم .

٢ - الكتاب المقدس (العهد القديم) .

٣ - الكتاب المقدس (العهد الجديد) .

٤ - بروكلمان .

Brockellman : Geschicht der arabischen litterature.

٥ - جراف :

Graf : Geschicht der christichen arabischen litterature.

٦ - حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون .

٧ - Dictionnaire Encyclopédique de la Bible

ثانيا - مراجع خاصة :

١ - آدم ميتز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جزءان ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة .

٢ - ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ٤ اجزاء فى مجلدين ، القاهرة ، ١٩٠٥ م .

٣ - ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ٥ اجزاء فى فى مجلدين ، القاهرة ، ١٨٧٣ م .

٤ - أبو عيسى الوراق : كتاب الرد على فرق النصارى ، تحقيق ونشر (A. Abel) مع ترجمة الى الفرنسية ، بروكسل ، ١٩٤٩م .

٥ - ابو القاسم بن ابراهيم : كتاب الرد على النصارى ، تحقيق ونشر (Mattéo) مع ترجمة الى الايطالية ، روما ، ١٩٢٢ م .

٦ ـ الباجه جى زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ، القاهرة : ١٣١٢ هـ ٠

٧ ـ الباقلانى (أبو بكر) : الفرق بين المعجزات والكرامات ٠٠٠٠٠٠ تحقيق ونشر : ماكارتى ، بيروت : ١٩٥٨ م ٠

٨ ـ الجاحظ (أبو عثمان) : رسالة فى الرّد على النصارى ، تحقيق ونشر فنكل ، الطبعة الثانية ، القاهرة : ١٣٨٢ هـ ٠

٩ ـ الجوينى (امام الحرمين) : شفاء العليل فيمن حرف الانجيل ، تحقيق ونشر : بيروت : ١٩٦٨ م ٠

١٠ ـ الدكتور صبحى الصالح وفريد جبر : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية ، ٣ أجزاء ، بيروت : ١٩٦٧م ٠٠ (منقول عن الفرنسية) ٠

١١ ـ الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : ١٩٥٣ م ٠

١٢ ـ الغزالى (أبو حامد) : الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل ، تحقيق ونشر روبرت شيدياق ، مع ترجمة فرنسية بيروت : ١٩٣٢ م ٠

١٣ ـ عشر مسائل موجهة ضد المسيحيين ٠ لأبى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى مقالة بالألمانية : بون : ١٨٩٧ م ٠

١٤ ـ القرافى (شهاب الدين بن ادريس) : الأجوبة الفاخرة ، منشور بهامش كتاب : الفارق بين المخلوق والخالق ٠

١٥ ـ M. Beuoif : le Judaisme et le christianisnue antique, Paris : 1968 .

١٦ ـ محيى الدين الأصفهانى : رسالة أصدق الحديث فى شرفى التوحيد والتثليث ، تحقيق ونشر مع ترجمة بالفرنسية :
A. Allord et J. Teovpeau , Bayeoulh , 1969.

١٧ ـ Paul Kouey : Paul d ' Antioche ; éveque de sydov : Bayeoulh : 1965.

ثالثا ـ مخطوطات :

١ ـ الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود ، مخطوط المتحف البريطانى رقم ١٦٦١٦

٢ ـ تخجيل من حرف الانجيل ، الجزء الأول ، مكتبة رئيس الكتاب باستانبول ، للجعفرى .

٣ ـ تخجيل من حرف الانجيل ، الجزء الثانى ، مكتبة داماد ابراهيم ، استانبول ، للجعفرى .

٤ ـ الأقوال القديمة فى حكم النقل من الكتب القديمة للقرافى : دار الكتب المصرية .

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

* * *

رقم الايداع بدار الكتب ٨٨/٥٨٧٦
الترقيم الدولى ٦ ـ ١٥٩ ـ ٣٠٧ ـ ٩٧٧

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلي
الأزهر: ٣ حبيشان الموصلي
بجوار جامع الرضاء
تليفون ٩٢٥٣٠٤ القاهرة